وقل رب زدني علما
جامعة دمشق
Damascus University

السنة: الثالثة

برنامج الترجمة

الجمهورية العربية السورية
منشورات جامعة دمشق
نظام التعليم المفتوح
برنامج الترجمة

الاستماع والمناقشة في اللغة العربية

د.أحمد جاسم الحسين
أستاذ مساعد في قسم اللغة العربية

د.حسين علي الزعبي
مدرس في قسم اللغة العربية

وقل رب زدني علما
Damascus University

فهرس المحتويات

الموضوع		الصفحة
المقدمة: الاستماع والمناقشة ومهارات اللغة العربية		7
الفصل الأول: المحاضرات والكلمات والندوات		13
– المفهوم		15
– محاضرة علمية: بحيرة لامارتين	د.محمد زكريا عناني	19
– محاضرة ثقافية: حدث في كاتماندو	د.عبد السلام العجيلي	43
– تدريبات		65
– كلمة: دور الاقتصاد العربي في التخلف	د.كمال حمدان	69
– ندوة:المصطلح العلمي وموقعه في تعريب التعليم	د.شاكر الفحام	73
– تدريبات		89
الفصل الثاني: الأجناس الأدبية بين الاستماع والمناقشة		93
– المفهوم		95
– المسرح/ مشاهد من مسرحية ديك الجن،	فرحان بلبل	98
–تدريبات		123

- القصيدة / الأغنية (الوجدانية - الإنسانية) 125
- قصائد لنزار قباني 126
-تدريبات 136
- قصائد لمحمود درويش 138
- تدريبات 148
- قصائد لبدر شاكر السياب 150
- تدريبات 156

الفصل الثالث: الحوار (الثقافي والأدبي والسياسي والفني...) 157

- المفهوم 159
- حوار مع الأستاذ الجامعي والناقد الموسوعي د.نعيم اليافي 161
- تدريبات 198

الفصل الرابع: نشرة الأخبار (السياسية والثقافية والرياضية...) 200

- المفهوم 202
- النماذج (أخبار وتحليلات وتقارير متنوعة...) 204
- تدريبات 223

Damascus University

مقدمة

الاستماع والمناقشة ومهارات اللغة العربية

يشكل هذا الكتاب لبنة جديدة من لبنات اللغة العربية بقسم الترجمة في التعليم المفتوح، ويتقاطع مع مقررات اللغة العربية في نقاط محددة، ويتفارق عنها في نقاط أخرى تصنع له خصوصيته.

وتحاول مقررات اللغة العربية أن تمدّ الطالب بمعلومات تخص مهارات اللغة وأسس تكوينها، وفي الوقت نفسه أن تساعده في اكتساب المهارات الضرورية، المتمثلة في المهارات الأساسية: الاستماع والكتابة والقواعد وتاريخ الأدب وأنماطه المختلفة.

ينظر هذا المقرر إلى اللغة العربية بصفتها مادة دراسية متكاملة تتضمن المعارف المتعلقة ببنيتها اللغوية (أدب، وبلاغة، ونحو، وصرف) موزعة على مجالات تشكل المادة التعليمية، وهي(الاستماع والمناقشة وتذوق النصوص)، استناداً إلى كون اللغة العربية هي أداة التفكير والتعبير، ووسيلة تلق، ولغة حضارة، وأدب، حيث بني الكتاب على المنهج التكاملي الذي يربط بين مجالاتها المختلفة مع التركيز على أساليب البحث، وطرائق التفكير، وتوظيف المعارف المكتسبة في المواقف الحياتية؛ ليتمكن الطالب من حل المشكلات، واتخاذ القرارات، واستعمال التفكير الناقد.

ويعدّ هذا المقرر (الاستماع والمناقشة) من أبرز المقررات التي ترتبط بالطالب إبّان دراسته وبعد تخرجه، ذلك أن الاستماع يعدّ جزءاً رئيسياً من مكونات

ودور كل من المحاضرة في الثقافة وسماتها، وماذا حصل لها بفعل التطورات التقنية.

- الكلمات والمناظرات والندوات إذ حضرت في ما يمكن تسميته بديلاً للخطابة بالمفهوم التقليدي، وتمت الإشارة إلى التغيرات التي أصابت هذا النمط، وكذلك إلى بعض سماته والأسباب الكامنة خلف ذلك من خلال الاستشهاد بنموذجين مختلفيْ المشرب والتوجه.

- الأجناس الأدبية السماعية؛ بخاصة فن المسرح بصفته فناً يُكتب ليُمثَّل ويُستَمَع إليه، وفن الشعر الذي تبدّى في القصائد المغناة، والأمسيات الشعرية، إذ اختبرتْ نماذج متنوعة ومعبرة عن مسيرة هذه الفنون، حيث إن المسرح يستعين بالصوت والتمثيل ليعبر عن ذاته، والشعر يعتمد على الغناء، وعلى التفنن في الإلقاء لجذب المتلقي، ونيل استماعه. وقد كانت النماذج المختارة متنوعة بحيث تعطي صورة واضحة عن الإفادة من الإلقاء والغناء في إيصال الشعر، وكذلك في ما يحدث للنص المسرحي من تغييرات بين كونه نصاً مكتوباً ونصاً مُمَسْرَحاً...

- الحوار وينقسم إلى حوار بين سائل ومسؤول، وحوار يشمل عدداً من المتحاورين، وكذلك الندوات المشتركة، ومنه ما يقدم عبر الكتابة في الصحف والدوريات، ومنه ما يقدم عبر البرامج الإذاعية والتلفزيونية، وكذلك تنظم بعض الجامعات والمراكز الثقافية حوارات مفتوحة مع الشخصيات العامة: الفكرية والأدبية والسياسية... ومما يلحظ في هذا المجال أن الحوار بات حاضراً بقوة، وكذلك تتعدّد أنواعه وأشكاله ودرجة شفافيته، وأهمية مَن يُجْرَى معهم الحوار وموقعهم...

وقد اخترنا نموذجاً حوارياً مع أستاذ جامعي وناقد معروف اشتهر بأنه لم يقصر دوره على كونه أستاذاً جامعياً، بل انشغل بالشأن العام، من هنا فإن الحوار معه له حسنات عدة تتجلى في منهجية الإجابة وطريقة التفكير، واختصار الإجابة وطولها، وكيف أن السؤال يفتح الباب أحياناً لسؤال آخر، إضافة إلى أن الحوار يكشف عن الارتباط بالظروف المحيطة، ولعل مما يسجل هاهنا أن الطالب الجامعي يدخل في حوارات يومية، وكذلك يستمع ويعترض على حوارات يعايشها، ويوافق أو يختلف مع هذا المحاور أو ذاك في طبيعة الجواب، بل يصل الأمر أحياناً إلى الاعتراض أو اقتراح أسئلة بصياغة أخرى، علماً أن الحوار يرتبط بطبيعة من يقوم بالحوار والشخصية التي يحاورها، والوسيلة الإعلامية، وكذلك طبيعة الموضوع...

- النشرات الأخبارية المتنوعة (السياسية والرياضية والفنية والاجتماعية...) موضع اهتمام الفصل الرابع من هذا الكتاب مع ما تستدعيه من فنون إعلامية يسمعها الجمهور يومياً عبر المذياع، أو التلفزيون، أو يقرؤها في الصحف، إضافة إلى ما تتطلبه من فنون أخرى مثل الخبر والتحقيق والتقرير والتعليق، وطبيعة الاختلافات بين نشرة وأخرى تبعاً لموضوعها والقناة التي تَبُثُّ من خلالها... وقد أتبع ذلك بنماذج تعبر عن الاختلاف تبعاً للوسيلة وللمحرِّر ولما يراد منها...

وقد تعددت النصوص التي تضمنها هذا الكتاب بين حوارات، وأمسيات شعرية، وقصائد مغناة، ومسرحية، ومحاضرة جامعية وثقافية، وكلمات، ونشرات أخبار... لكُتّاب متعددي الشأن منهم:

عبد السلام العجيلي وشاكر الفحام ومحمد زكريا عناني ومحمود درويش ونزار قباني وبدر شاكر السياب و نعيم اليافي وفرحان بلبل...

أما طريقة تأليف الكتاب؛ فتتمثل في تقديم نبذة عن مفهوم كل فنّ من الفنون، ونموذج أو أكثر منه، وبعد ذلك تتم مناقشة النص، وأسئلة حوله، وتدريبات حول عدد من مهارات اللغة العربية من خلال النصوص بما يبرز خصوصية شخصية الطالب وفهمه.

الفصل الأول

المحاضرات والكلمات والندوات

Damascus University

وتلتمس (الكلمة) طرائق في التعبير تختلف إلى حد كبير عن المحاضرة؛ نظراً لاختلاف الأهداف والأسباب، فالكلمة تبتغي إعطاء فرصة الحديث لشخص مسؤول عن احتفال له علاقة بالمناسبة، وفي الوقت نفسه قد تكون الكلمة في افتتاح ندوة أو مؤتمر أو مهرجان، وغالباً ما تأخذ طابعاً خطابياً يعبر عن وجهة نظر الشخص المسؤول والجهة التي يمثلها، أو يعبر عن وجهته هو، و تنحو أحياناً نحو العمومية، وتجنح في بعض صورها نحو تقديم الإشكالية التي استدعت حدوث الندوة أو المهرجان.

وتختلف طبيعة الكلمة وفقاً للمناسبة، في العزاء، مثلاً، تعد ذكر محاسن الراحل، وفي الاحتفال تتخذ من الإشادة طريقاً لها، وفي افتتاح الندوات تحاول التنبيه إلى الأسباب التي أدت إلى انعقادها والجدوى والأهداف المتوخّاة.

وتصبّ المحاضرات والندوات والكلمات في مصبّ قريب من بعض ملامح الخطابة من حيث الشفوية والأسلوب؛ لكنها تختلف عنها في محاور كثيرة، وقد أدّت ظروف عدة، وعوامل فكرية وثقافية واجتماعية إلى انحسار حضور الخطابة، والاستعاضة عنها بالكلمة والندوة والمحاضرة، إذ إن الخطابة سليلة المشافهة، ولئن ازدهرت في أواخر القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين؛ إلا أن ظروف الحياة وانتشار التقنيات والإعلام البديل جعل هذه الأصناف من الإعلام البديل هي الأساسية، إضافة إلى الفعل الذي بدأت تأخذه الصورة في عصرنا الحاضر.

أما المناظرة فهي من الأنواع ذات الجذور التراثية التي تشير إلى النقاش المحتدم حول موضوع محدّد، إذ يحاول كل متحاور أن يثبت أن وجهة نظره هي الأسلم، أو أن يدلّل على أن وجهة نظر المتحاور الآخر خاطئة، وقد تأخذ المناظرة طريق الدفاع والهجوم بغضّ النظر عن الحقيقة. ويمكن أن نجد لها في البرامج التلفزيونية نظائر عدّة على أكثر من محطة، وتتسم المناظرة بقدرتها على استثارة

الجمهور والحماس والمتعة؛ لكن الحصيلة الفكرية أو المعرفية تكون أحياناً ضئيلة، وهي على أية حال نمط من الأنشطة الشفوية ذات الأهداف الذاتية، أو التحزّبيّة، أو التعصبيّة، أو المعرفية العلمية في نماذج قليلة، وهي نموذج سلبي- كما يرى بعض الباحثين- من الحوار، وقد تكون أرقى صورها بعض المناظرات التي تجري بين المرشحين لانتخابات ما؛ لأنها تكشف برنامج كل منهم، وإن كانت العبرة بما سيقوم كل منهم بتنفيذه! مع الأخذ بعين الاعتبار الفرق بين المناظرة والسجال والمجادلة والحِجَاج.

وقل رب زدني علما
جامعة دمشق
Damascus University

المحاضرة الأكاديمية

بحيرة لامارتين[1]

الدكتور محمد زكريا عناني[2]

لا نظن أن قصيدة أوربية استحوذت على إعجاب شعراء العربية على النحو الذي تمثل في قصيدة «البحيرة» لألفونس لامارتين، فقد عاشت، ولا تزال تعيش، في وجدان الناس، من خلال تلك الترجمات الشعرية والنثرية المتتابعة، ومن خلال ما ظهر عنها من عرض وتحليل في المؤلفات المختلفة التي تتحدث عن المذهب الرومانسي أو تعرض لتاريخ الأدب الفرنسي وأعلامه وآثاره ذات الشهرة الكبيرة.

---

[1] – ألقيت في النادي الأدبي الثقافي بجدة – السعودية – في 10– 5 –1992.

[2] – دكتوراه من جامعة السوربون الثالثة، عمل في جامعة أسيوط وجامعة الاسكندرية، وجامعة أم القرى، **من مؤلفاته – منفرداً – أو بالاشتراك:**

– الموشحات الأندلسية، الكويت 1980م.

– ديوان الموشحات الأندلسية، الاسكندرية 1985م.

– النصوص الصقلية، الاسكندرية 1981م.

– مدخل لدراسة الموشحات والأزجال، الاسكندرية 1982م.

– القسم الصقلي من كتاب المغرب لابن سعيد (تحقيق).

– العذارى المائسات في الأزجال والموشحات (تحقيق).

– الأدب المقارن.

– دراسات في الأدب الحديث (بالاشتراك) 1988م.

وقد اعتبر لانسون، في حكمه العام على شعر لامارتين، أنه يتسم بالغموض وعدم وضوح المعالم، ورأى أن هاتين الصفتين سمحتا للانفعالات المطروحة بأن تعبر عن نفسها في حرية، وقال إن بعض قصائده:

«ليست إلا تنهدات الروح إذا صح التعبير، وتلك بالذات هي الناحية التي دعت إلى الإعجاب بهذه القصائد، فكان الناس يقرؤون أبياتها فلا يجدون منظراً طبيعياً ولا حادثة واضحة المعالم، ولكننا نتقابل مع مجموعة من التأملات والصور المبهمة، من نهر وبحيرة وغاب وكنيسة قوطية وفجر ومساء وأجراس المساء،... ففي أي بقعة من الكون تجد لهذا مكاناً.

وهذا الصنيع مغاير لمنزع الكلاسيكيين المحدثين في تعبيرهم عن القيم الإنسانية المطلقة، لأن هؤلاء الكلاسيكيين لم يشغلوا بأهواء الذات واحتدام الخيال وجموح المشاعر، على نحو ما فعل لامارتين في «البحيرة» وغيرها.

وقد بدأنا حديثنا بالإشارة إلى إقبال الشعراء العرب على هذه القصيدة والإقدام على ترجمتها شعراً ونثراً، وجمعنا لهذه الغاية كل ما تيسر لنا من ترجمات، وعدد ما جمعناه ليس بالقليل، ومع ذلك نؤمن إيماناً مطلقاً بأن ما فاتنا ليس بالقليل أيضاً، والدليل على ذلك تلك الكلمة التي نشرها حسن كامل الصيرفي سنة 1933 في مجلة «أبولو» تعليقاً على كتاب «لامارتين» لإلياس أبي شبكة.

«لعل قصيدة البحيرة هي القصيدة الوحيدة من روائع الأدب الغربي التي نالت في لغتنا العربية محلاً سامياً، فنقلها شعراً ونثراً ما يربو على العشرة من الكتاب والشعراء(6)».

ولعل أول ترجمة عربية لـ «البحيرة» هي التي قام بها أحمد شوقي وكان ذلك في فترة مبكرة من عمره، أثناء مقامه في فرنسا، وقد أشار إلى ذلك في مقدمة الطبعة الأولى من ديوانه(7).

ورغبة في التحديد والإيجاز معاً، فإننا سنتوقف أمام ترجمة واحدة نثرية وأخرى شعرية، ثم ننظر من خلالهما إلى التراجم الأخرى.

أما الترجمة النثرية فهي التي قام بها أحمد حسن الزيات، صاحب «الرسالة» وجعل الزيات لترجمته مدخلاً أو افتتاحية تقول:«نظم لامرتين هذه القطعة الخالدة في بحيرة بورجيه من سفوا، وقد وفد على اكس عام 1817 ينتظر قدوم جوليا ــ بطلة قصة رفاييل ــ إليها، وجوليا يومئذ تكابد غصص الموت على سرير المرض فلم تلبِّ نداءه ولم تستطع لقاءه، فزفر لامرتين هذه الزفرة وأرسل تلك العبرة، من صدر مكروب، وعين قريحة، ثم عاد إلى مبلى شارد اللب مضطرب الجوانح».

وهذه الفقرة، على إيجازها، تعبر في جلاء عن الأجواء النفسية العاتية التي كتب فيها لامارتين قصيدته، وهي تتفق في عرضها مع الحقيقة التاريخية التي تقطع بأن الشاعر كان قد غادر (اكس لي بان) وبصحبته (جوليا) في خريف 1816، و...تركها تواصل رحلتها إلى باريس بينما اتجه هو إلى مسقط رأسه، وكانا قد تعاهدا على اللقاء على ضفاف البحيرة في الصيف التالي، وبعد الفراق بنحو شهر أو شهرين (آخر ديسمبر 1816) يتجه إلى باريس ويقضي مع جوليا شهوراً حافلة بالهناء ثم يعود بعدها إلى بلدته (في مايو 1817) على أمل اللقاء مع جوليا بعد شهور قلائل، على ضفاف البحيرة.

ويتجه لامارتين إلى اكس في أغسطس من هذه السنة، وهو يمني النفس بقرب اللقاء، ويكون في صحبته صديقه لوى دي فينييه الذي كان مطلعاً على كل أسراره وعلى تفصيلات قصة حبه، وفي هذا التاريخ تكون حالة جوليا الصحية قد بلغت من السوء حداً بعيداً، وأصبح من المتعذر عليها السفر، بل الانتقال من مكان إلى مكان. ويعرف هذه الحالة أيمون دي فيرسو (صديقه الحميم الذي كان يتردد على جوليا في باريس) فيخطر بها لوى دي فينييه لينبئ بدوره لامارتين ولكن لوى

يشعر بالحرج والضيق، فيظل صامتاً ويكتم عن صديقه هذا النبأ المزعج، ولا يجرؤ على أن يطلعه على جلية الأمر إلا في منتصف سبتمبر وعلى أثر ذلك يجهش لامارتين بالبكاء، وتنهمر من عينيه العبرات غزيرة سخينة، ويهوى بين براثن اليأس والقنوط، وعندما يفيق قليلاً من هول الصدمة القاتلة ويستعيد شيئاً من عقله واتزانه، يشرع في تأليف قصيدة البحيرة الخالدة(9).

وفيما يبدو أن أحمد حسن الزيات كان قد استوعب تفصيلات حياة لامارتين، كما قرأ في عمق العديد من أعماله، ولا غرابة إذن إذا ما جاء تعريبه لـ «البحيرة» جامعاً بين الدقة وصدق الإحساس وقوة التعبير ونص الترجمة:

أهكذا قضى الله أن نمخر في عباب الحياة
مدفوعين في ظلام الأبد من شاطئ إلى شاطئ
دون أن نملك الرجوع إلى ملجأ
أو الرسو ذات يوم على مرفأ؟
أنظري أيتها البحيرة! إها هو العام قد كاد يشارف تمامه
وأنا وحدي بجانب أمواجك الحبيبة
أرتقب عبثاً عودة جوليا إليها، جالساً فوق الصخرة
التي كنت ترينها جالسة عليها.
كذلك بالأمس كنت تهدرين فوق هذه الصخور المعلقة وتتكسر
أواذيك على جوانبها الممزقة
ويقذف هواءك الزبد
على قدميها المعبودتين

أتذكرين ليلة كنا فوق صفحتك بين الماء والسماء نجدف في سكون وصمت، وقد ضرب الله على آذان الطبيعة وختم على أفواه الخليقة، فلا نحس حركة ولا نسمع ركزاً غير إيقاع المجاديف على أنغام الموج؟

وإذا بصوت لا عهد للآذان بمثله ينبعث من ضفتك الجميلة

فشق حجاب السكون وأطلق لسان الصدى

وهناك أنصت الموج وأصغى الهواء

وأخذ هذا الصوت الحبيب يساقط هذه الكلمات:

أيتها الأرض قفي دورانك وأنت أيتها الساعات قفي جرياتك ودعينا نتمتع بعاجل لذاتك، وننعم بأجمل أيام شبابنا.

إن كثيراً من صرعى الحياة وفرائس البؤس يتضرعون إليك أن تسرعي بهم.

لتخففي من كربهم فاستجيبي إليهم وكرّى مسرعة عليهم

وخذي مع عمرهم الذاهب ألم عذابهم الواصب

واتركي السعداء والناعمين

غارقين في غفلات العيش وظلال الأمن

على أنني، يا ويلتاه، كلما لججت في الطلب لج الزمان في الهرب فأنا أتمنى عليه المنى فلا تتحقق واستزيده البرهة اليسيرة فلا أوفق، فسألت هذه الليلة أن تكون أطول وأمهل، ولكن السؤال خاب وبازي الصبح قد افترس غراب الليل.

فلننساق إذن كؤوس الهوى دهاقاً، ولننقض مآربنا عجالاً

فليس لسفينة الإنسان مرفأ

ولا لخضم الزمان ساحل

إن الزمان ليتدفق

وإنّا مع تياره نمر وتمضي

أيها الزمن الحاسد

كذلك قضيت أن نمضي لحظات الأنس

وسكرات الحب سراعاً

كما تمضي أيام الشقاء واليؤس

ويلك أما نستطيع على الأقل أن نتبين آثارها ونلمح أنوارها؟

وكيف؟ أنراها قد ذهبت إلى غير رجعة وماتت إلى غير بعث؟

واويلتاه هل انقضى كل شيء؟ وهل الزمن الذي منحها وأعطاها والذي طمسها وعفاها، لا يرد ثانية علينا؟

حدثني أيها الأبد أيها الماضي أيها الغور العميق ماذا تصنع هذه الأيام التي تغيبها في أحشائك وتطويها في أثنائك.

أما ترجع إلينا ما سلبتنا من سكرات نبيلة ومرات جميلة؟

أيتها البحيرة الصاخبة أيتها الصخور الصامتة أيتها النيران الموحشة.

أيتها الغابات المظلمة أنتن اللاتي يبقى عليهن الدهر

فيجدهن بعد البلى ويخصبهن بعد المحل

فاحتفظن من هذه الليلة السعيدة على الأقل بذكراها

وانطوين على شذا أرجها وطيب رياها

لتبق ذكراها أيتها البحيرة

في هدوئك الشامل وعواصفك الهوج

وهضباتك الضحوك.

لتبق في هذه الصنوبر الذاهب إلى السماء

وفي وعر الصخور المعلقة فوق الماء، لتبق في النسيم العابث بوجهك وفي الهدير المردد بين ضفافك، وفي الكوكب الفضي يضيء سطحك بأنواره الرخية الزاهية وليقل الهواء الذي يصفر، والقصب الذي يزفر والنسيم المعطر الذي يضوع ليقل كل ما نرى وما نسمع وما نتنسم.

لقد كانا عاشقين.

يحرص الزيات في ترجمته على الصياغة أكثر مما يحرص على أن تأتي ترجمته حرفية، وهو من أجل هذه الصياغة يحذف أو يضيف أو يعدل من الصورة الأصلية.

ولا يبقى لنا سوى التعريج على آخر ما بين أيدينا من ترجمات نثرية وهي التي قدمها إيليا الحاوي في كتابه «الرومانسية وأثرها في الشعر العربي والغربي»، وتتميز هذه الترجمة بالدقة في نقلها للأصل، وجعلها على شكل «أدوار» أو «كوبليهات» يأتي في مستهلها:

أهكذا لا يزال يزجي بنا
إلى شواطئ جديدة
نساق إلى الليل الأبدي دون عودة
أما في سبيل لنلقى المرساة في
محيط الأعمار، ونقف ولو ليوم وحيد
أيتها البحيرة
لم تكد السنة تنهى مدارها
وقرب الأمواج الشيقة التي كانت مزمعة أن نراها
انظري، ها أني أفد وحيداً
أجلس على تلك الصخرة
حين رأيتها تجلس قبلاً

ولم يكتف المترجم بالنقل الأمين، وإنما أردف النص بتحليل مسهب يبلغ زهاء اثنتي عشرة صفحة، ذلك أنه تابع النقاد في توكيدهم على أن «البحيرة» تعتبر بمثابة نموذج حي «للتجربة الرومانسية في أبعادها وانفعالاتها وطبيعة المضمون والصورة.. وعلى الجملة وقعنا في هذه القصيدة على إحساس رومانسي بالإرغام والقسر إزاء الزمن وإزاء الحياة ورأينا تقديسه للحلم الذي لا تبدو من

خلاله ملامح الحبيبة وأوصافها بل الأشواق والحسرات المسفوحة دونها، وتعمده لمعاناة الألم وتلمح الفاجعة في كل أمر، وإحياءه الطبيعة عبر انفعاله القوي، إلا أن الميلودرامية والانفعالية العنيفة، تكديان على هذا الشعر وتمنعانه من أن يطال الرمز والحقيقة غير الطارئة والمقيمة في أهاب النفس ورحمها، هاجعة تترقب أن يكشف عنها حجابها».

وبين أيدينا عدة ترجمات شعرية لـ «البحيرة» نؤثر بإزائها أن نختار ـ كما فعلنا مع الترجمات النثرية ـ نصاً أساسياً، ثم نشير من بعد إلى النصوص الأخرى.

وهناك اعتبارات فنية ستأتي الإشارة إليها تجعلنا نتوقف أول ما نتوقف أمام الترجمة التي صنعها علي محمود طه لـ «البحيرة» والتي ظهرت في ديوانه الأول «الملاح التائه(19)» وكأنما نجاحه فيها أغراه أن يكرس كتاباً مستقلاً للأدب الغربي هو «أرواح شاردة» الذي تحدث فيه عن فرلين وترجم له قصيدته الشهيرة «في الخريف» شعراً، كما تناول فيه بودلير وشيلي وجون مانسفيلد وألفريد دي فينيه فضلاً عما كتبه عن برنارد شو هـ. ج ويلز.

ويقول علي محمود طه في ترجمته:

ليت شعري أهكذا نحن نمضي نمضي
في عباب إلى شواطئ غمض
ونخوض الزمان في جنح ليل
أبدي يضني النفوس وينضي
وضفاف الحياة ترمقها العيـ
ـيـن فبعض يمر في إثر
دون أن نملك الرجوع إلى ما
فات منها ولا الرسو بأرض
* * *

حدثي القلب يا بحيرة مالي
لا أرى (أولفير) فوق ضفافك
أوشك العام أن يمر وهذا
موعد للقاء في مصطافك
صخرة العهد ويك ها أنذا عد
ت فماذا لديك عن أضيافك
عدت وحدي أرعى الضفاف بعين
سفكت دمعها الليالي السوافك
* * *
كنت بالأمس تهدرين كما أنـ
ـت على هذه الصخور الجون
والنسيم العليل يدفع وهنا
زبد الموج للربى والحزون
ملقيا رغوها على قدميها
لين المس مستحب الأنين
* * *
أترى تذكرين ليلة كنا
منك فوق الأمواج فوق الضفاف
وسرى زورق بنا يتهادى
تحت جنح الدجى وستر العفاف
في سكون فليس نسمع فوق الـ
ـموج إلا أغاني المجداف
تتلاقى على الربى والحوافي
بأناشيد موجك العزاف
* * *

وعلى حين غرة رن صوت
لم يعود سماعه أنس
هبط الشاطئ الطروب فما يسمـ
ـع فيه للهاتفات دوى
وإذا الليل ساهم سكن النو
ء إليه وأنصت اللجى
يتلقى عن نبأ الصوت نجوى
كلمات ألقى بهن نجى
* * *
يا . زماناً يمر كالطير مهلاً
طائر أنت؟ ويك! قف طيرانك
أهناء الساعات تجرى وتعدو
فاعطاشا فقف جريانك
ويك دعنا نمرح بأجمل أيا
م ونلقى من بعد خوف أمانك
وإذا نحن لذا العيش ذقنا
ها ومرت بنا قدر دورانك
* * *
بيد أن الشقاء قد غمر الأر
ض وفاض الوجود بالتاعسينا
كلهم ضارع إليك برجيـ
ـك فأسرع إلى الضارعينا
واقترن مشقيات أيامهم وأمـ
ـض رحمى تطحن الشقاء الطحونا
رحمة فاذكر النفوس الحزانى
وانس يا دهر أنفس التاعسينا

عبثاً أنشد البقاء لعهد
يفلت اليوم من يدي ويفر
وسويعات غبطة ما أراها
ووشيكا ما تنقضي وتمر
وأناديك يا ليلة الوصل قوى
إن بعد السرى يطيب المقر
أسفاً للصبا وغر الليالي
ليس يبقى على صباحهن فجر
* * *
فلنحب الغداة ولنحيى حباً
ولنكن في الحياة بعضاً لبعض
ولنسارع فنقتفي أثر ساعا
ت فقد تؤذن النوى بالنقض
إننا في الحياة في عرض بحر
ليس للقى المرساة فيه بأرض
ما به مرفأ يبين ولكن
نحن نمضي في لجه وهو يمضي
* * *
أكذا أنت أيها الزمن الحا
قد تغتال نشوة اللحظات
حيث يزجين لنا السعادة أموا
جا من الحب زاخر اللجات
أكذا أنت ذاهب بليالي الصـ
ـفو عنا سريعة الخطوات
أكذا تنقضي حلاوة نعما
ها كما ينقضي شقاء الحياة

هذا نص ترجمة علي محمود طه لـ «البحيرة»، ولعله أطول تعريب، امتد إلى أربعة وستين بيتاً وبذا يمكن القول بأنه يبلغ ــ على وجه التقريب ــ ضعف أية ترجمة أخرى نملكها لنفس القصيدة، ومن المؤكد أن لهذا الطول تأثيره في بناء التعريب واستيعاب الأفكار، ومن الملاحظ أن هذا هو نفسه عدد أبيات النص الفرنسي، وهو كذلك نفس عدد الأبيات التي جاءت في ترجمة أحمد حسن الزيات (وقد وضعناها في صورة ستة عشر «دورا» متوائمة مع النص الفرنسي).

وهناك اتجاه بين الدارسين للإشادة بعمل علي محمود طه، فمن ذلك ــ على سبيل المثال ــ قول سهيل أيوب، بعد أن تحدث عن الترجمات الشعرية التي وردت في كتاب «أرواح شاردة».

«وقد كان موفقاً جداً في الترجمة، من حيث الأمانة ودقة التعبير، مثله في ذلك مثل ترجمته لقصيدة الشاعر لامارتين البحيرة، المنشورة في ديوان الأول: الملاح التائه(20)»

وعلي محمود طه يستهل ترجمته بـ «ليت شعري» ذات الطابع العربي التقليدي، ولكنها تأتي في حقيقة الأمر معبرة عن نفس التساؤل النابض بالأسى والفجيعة في نص لامارتين، والذي يقارن بين الترجمات النثرية السابقة للفقرة الأولى وبين الفقرة ذاتها عند علي محمود طه سوف يتبين في جلاء أن شاعرنا وفّق توفيقاً بعيداً في عمله، ومن أهم سمات هذا التوفيق إلى جانب التقارب في المعنى بين الأصل والترجمة، أن القارئ يشعر وكأنه يقرأ شعراً عربياً رومانسياً، وليس مجرد تعريب شعري.

ويلاحظ أن شاعرنا دس في الفقرة الثانية اسم «أولفير» وليس لها وجود في الأصل (ومن قبل أضاف الزيات اسم جوليا للقصيدة) وليست لهذه الإضافة قيمة،

وهذه الفقرة تعكس بدورها المعاني التي في الأصل، لكن طبيعة الصياغة الشعرية جعلت الشاعر يسوق مثل هذا البيت:

عدت وحدي أرعى الضفاف بعين

سفكت دمعها الليالي السوافك

وليس في أبيات لامارتين ما يقود إلى هذا المعنى.

وقد بلغ الشاعر ذروة الإجادة في الفقرة الرابعة التي يخاطب فيها البحيرة متسائلاً:

أترى تذكرين ليلة كنا

،نك فوق الأمواج بين الضفاف

وسرى زورق بنا يتهادى

تحت جنح الدجى وستر العفاف

وربما لم يكن التعبير الأخير «ستر العفاف» في النص الفرنسي، لكن الإيقاع الشعري في الفقرتين يتعانق تعانقاً حميماً، ويكشف عن تلك الطاقة الجمالية الهائلة التي تفجرت من صدر صاحب «الملاح التائه»، وتتجلى تلك البراعة في الفقرة التي يتساءل فيها:

يا زماناً كالطير، مهلاً

طائر أنت؟ ويك قف طيرانك!

وهو هنا يقترب اقتراباً شديداً من أبيات لامارتين، في حين أن بعض الترجمات النثرية لم تستطع أن تؤدي هذا المعنى، وعمدت إلى لون من التغيير والتبديل.

ولا شك أن الصياغة الشعرية اضطرت على محمود طه في أكثر من موضع العدول عن المعنى المباشر إلى معنى آخر قريب منه، فمن ذلك هذه الفقرة التي ناقشناها من قبل: Aimons donc, Aimens dens والتي ترجمها الزيات

بـ: «فلنتساق إذن كؤوس الهوى دهاقاً..» وهي تشكل الفقرة التاسعة في القصيدة التي نحن بإزائها وفيها:

فلنحب الغداة ولنحيى حباً

ولنكن في الحياة بعضاً لبعض

والفقرة الثانية كلمة مضافة وإن لم تكن دخيلة تماماً على السياق ولكن الحرص على أداء المعنى قد يوقع أحياناً في الركاكة، مثل قوله:

أي أبيد الزمان والعدم العا

تى غريقين في سكون وصمت

أي عميق اللجات ماذا بأيا

م صبانا ماذا بهن صنعت

حدثيني أما تعيدين ما من

سكرات الغرام منا اختطفت.. الخ

وفضلاً عما في صياغة هذه الأبيات من وهن، فإنها تختلف اختلافات غير يسيرة عن الأصل.

Etemite, seant, passé, somber abine,
Que faites- vous des jours que vous engloutissez,
Pastez: nous rendez- vous des extases sublines.
Que vous nous ravissez.

والتي تؤدي حرفياً على النحو التالي:

أيها الخلود، أيها الفناء، أيها الماضي، أبتها المهاوي المعتمة ماذا تفعلون بأيامنا التي تبتلعونها.

أجيبوا: ألا تعيدون إلينا تلك النشوات الشامية التي اختلستموها منا؟

وتعود ترجمة على محمود طه في فقراتها الأخيرة لتحلق في نفس الآفاق الشامخة التي طوفت حولها «بحيرة لامارتين، مما يجعلها واحدة من أحلى الترجمات الشعرية في الأدب العربي الحديث».

ونضيف من بعد، أنه لا يبقى بين أيدينا بعد هذا إلا ترجمتان شهيرتان، وترجمة «بين بين»، ثم بضع ترجمات أخرى مجهولة أو شبه مجهولة.

وأما الترجمتان الشهيرتان فأولاهما لإبراهيم ناجي وثانيتهما لنقولا فياض.

وتقع ترجمة ناجي ــ وهي ضمن قصائد ديوانه «وراء الغمام(21)» «في أربعة وعشرين بيتاً فحسب، ولا نظن أنها تصل في إجادتها إلى ما وصل إليه تعريب علي محمود طه للنص، وناجي يبدو وكأنه قرأ قصيدة لامارتين واستوعب في ذاكرته معانيها وتلمس روحها ثم نحاها جانباً، وبدأ يكتب ما انطبع في ذاته من وحي انفعاله بها، وكأنه أشبه برسام أعجب بلوحة ما ولكنه حينما أراد أن يرسمها لم يضعها نصب عينيه وإنما راح يرسمها من الذاكرة».

وإذا كان علي محمود طه قد عمد إلى بناء النص وفقاً لنظام «الأدوار» أو المقاطع، بحيث تتغير القافية مع كل دور، أي بعد كل أربعة أبيات فإن إبراهيم ناجي بنى نصه وفقاً لنظام الأدوار أيضاً وجعل كل دور من بيتين:

من شاطئ لشواطئ جدد
يرمي بنا ليل من الأبد

ما مر منه مضى فلم يعد
هيهات مرسى يومه لغد

* * *

سنة مضت! وختامها حانا
والدهر فرق شملنا أبداً

ناج البحيرة وحدك الآنا
واجلس بهذا الصخر منفرداً

هذا عن صنيع ناجي، وأما الترجمة الثانية التي أشرنا إليها فهي لنقولا فياض، وهو طبيب لبناني استقر في مصر فترة طويلة من الزمن إلى أن رجع لبيروت ثانية (سنة 1930) وله آثار أدبية متفرقة، منها: «على المنبر»، «قبل الأصيل»، «رفيف الأقحوان» الخ.

ويضم ديوانه «رفيف الأقحوان» قصيدة نونية عنوانها «البحيرة» كتبها على وزن وقافية نونية ابن زيدون:

أضحى التنائي بديلاً من تدانينا
ونابَ عن طيب لقيانا تجافينا

وهي قصيدة عارضها كثيرون في الماضي وفي الحاضر، ومن أشهر معارضاتها قول شوقي:

يا نائح الطلح أشباه عوادينا
نأسى لواديك أم نأسى لوادينا

و«بحيرة» نقولا فياض، من طراز ما صنع على محمود طه، أي أننا نجد عنده الحرص على أن يكون في الآن ذاته مترجماً وناظماً، وفي رأينا أن ترجمة فياض جاءت عملاً فريداً في استيعابه لمعظم ما تضمنه الأصل، وجاءت مفعمة بالمشاعر الجياشة والنغم المتدفق حيناً الهامس حيناً آخر، كما جاءت حافلة بالصور الزاهية حيناً القاتمة العابسة حيناً آخر...

وأول تعريب نقولا فياض(23):

أهكذا أبداً نمضي أمانينا
نطوي الحياة وليل الموت يطوينا
تجري بنا سفن الأعمار ماخرة
بحر الوجود ولا نلقى مراسينا

بحيرة الحب حياك الحيا فلكم
كانت مياهك بالنجوى تحيينا
قد كنت أرجو ختام العام يجمعنا
واليوم للدهر لا يرجى تلاقينا

وتنتهي القصيدة والشاعر يناجي «البحيرة»:

فيا بحيرة أيام الصبا أبداً
تبقين بالدهر والأيام ترزينا
تذكار عهد التصابي فاحفظيه لنا
ففيك عهد التصابي بات مدفوناً
على مياهك في صفو وفي كدر
فليبق ذا الذكر تحييه فيحيينا

ونصل إلى تلك الترجمة التي أسميناها «بين بين» من حيث الذيوع، فهي من ناحية ــ تأتي في كتاب مطبوع، بل في كتاب مكرس له لـــ «لامارتين» وهي من ناحية أخرى ــ من نظم شاعر لا نعرف من أمره شيئاً، ولا نظن أن له كتاباً آخر غير هذا الذي بين أيدينا، والذي يحمل عنوان «مختارات من قصائد لامارتين».

ولعل مؤلفه (محمد أسعد ولاية) ممن شغفوا بالأدب العربي حتى استقام لهم أسلوب النظم والتأليف فيه، وممن اتصلوا بالأدب الفرنسي فامتلؤوا إعجاباً به، وكانت هناك وقفة خاصة أمام لامارتين الذي فتن به ومن ثم كانت هذه الترجمة لقصائده الشهيرة، وهناك نصوص عربت نثراً وأخرى نظمت نظماً ومن بينها «البحيرة».

وقد مر بنا أمر «التقديم» الذي وضع في صدر تعريب «البحيرة» وأشرنا إليه في معرض التنبيه على خطأ شائع يردد أن الشاعر كتب قصيدته تلك بعد وفاة محبوبته، التي عرفنا أنها كانت تحمل اسم جوليا كما حملت اسم الفير.

وأول تلك الترجمة:

ما فتئنا على الدوام نرانا

في اندفاع يقتادنا للدمار

صوب شط إلى انتقال جديد

حالك الليل سرمدي المزار

أفلا نستطيع مطلقاً ذات يوم

رمي مرساتنا إلى الأغوار

في محيط تعد فيه المنايا

وتسوى نهاية الأعمار؟

ويكمل في الفقرة الثانية:

ها هو العام يا بحيرة ولى

وأتت دورة ليوم لقانا

وعلى القرب من تواثب موج

كان ينبغي أن نجيء كلانا

ويبدو جلياً حرص صاحب الترجمة على محاذاة الأصل، وهو حرص قاد إلى الوقوع في حبائل النثرية كما في جمل مثل «وتسوى نهاية الأعمار» أو «كان ينبغي أن نجيء كلانا»...

وإذا كان هذا البحث قد طال وتشعبت مناحيه فينبغي أن نضيف إليه وقفة أخيرة قصيرة بإزاء ما أسميناه بالترجمات المجهولة أو شبه المجهولة، وربما لا يكون التعبير دقيقاً كل الدقة لأن إشاراتنا هذه تلمح إلى أربعة نصوص، ثلاث منها منشور منذ أكثر من عشر سنوات (1977) في «المجلة العربية» التي تصدر بالمملكة العربية السعودية أما النص الرابع فلا نعرف إن كان قد نشر أم لا، والذي نعنيه أنها وإن تكن منشورة فإن الاهتمام بها ظل محدوداً إلى مدى بعيد.

لقد مرت بنا، منذ بدء رحلتنا مع «البحيرة» عشرات الترجمات العربية التي اختلفت شكلاً وصياغة، ولكنها سمعت جميعاً إلى محاول الاقتراب من عالم قصيدة لامارتين التي لم نجد فيها أفكاراً تتدفق ولا رؤية عقلية ولا تحليلاً منطقياً ولا حكمة ظاهرة عاطفة تمتزج مع الخيال وتعبيراً جمالياً ينساب من خلال الأحاسيس لا الذهن، ولا غرو فهذا ديدن الرومانسيين بعامة فيما أبدعوا، وهذا الصنيع جسمته قصيدة البحيرة كأقوى وأصدق ما يكون التجسيم.

وقد أردنا لدراستنا هذه أن تجمع بين التاريخ والتحليل وتنبه إلى تلك الأواصر الوطيدة بين الآداب المختلفة(27) من خلال نص فريد جاشت فيه مشاعر أديب فرنسي منذ قرابة مائتي سنة ولا يزال ينبض في أخيلة الشعراء العرب بالدفء والحيوية والجمال..

ثبت المصادر والمراجع

1 ــ آفاق النقد التشكيلي: عباس صراف، بغداد .1979

2 ــ الإحساس بالجمال: جورج سانتيانا. ترجمة محمد مصطفى بدوي، القاهرة. د. ت.

4 ــ الأخلاق والسير: لابن حزم، تصحيح أحمد عمر المحمصاني، القاهرة. د. ت.

8 ــ الإمتاع والمؤانسة: أبو حيان التوحيدي، تحقيق أحمد أمين وأحمد الزين ط2 القاهرة .1953

9 ــ الإنسان ذلك المجهول: الكسيس كاريل، ترجمة شفيق أسعد فريد، بيروت. د. ت.

10ــ بحث في علم الجمال: جان بارتلبمني، ترجمة أنور عبد العزيز، القاهرة 1960.

ـ الخمائل: ديوان شعر إيليا أبي ماضي، بيروت دار العلم للملايين .1960
16 ـ دراسات في النفس الإنسانية: محمد قطب، القاهرة، دار التعليم، .1967
17 ـ طوق الحمامة: ابن حزم. دمشق 1349.
18 ـ علم الجمال: دنيس هويسمان: ترجمة ظافر الحسن، بيروت .1975
19 ـ علم الجمال: د. عبد الفتاح الديدي، القاهرة .1981
20 ـ علم الجمال عند أبي حيان التوحيدي، بغداد 1972.2
21 ـ علم الجمال في الفلسفة المعاصرة، مجاهد عبد المنعم مجاهد، القاهرة 1980.
23 ـ علم الجمال والنقد الحديث: عبد العزيز حمودة، القاهرة. د. ت.
24 ـ فصول في علم الجمال: د. عبد الرؤوف البرجاوي، بيروت .1981
25 ـ فكرة الجمال: هيغل، ترجمة جورج طرابيشي، بيروت .1978
28 ـ فلسفة الجمال، نشأتها وتطورها، د. أميرة حلمي مطر، القاهرة .1985
33 ـ مبادئ علم الجمال: شارل لالو، ترجمة مصطفى ماهر، القاهرة .1959
34 ـ المدخل إلى علم الجمال: هيغل: ترجمة جورج طرابيشي، بيروت .1978
36 ـ مقدمة في علم الجمال: د. أميز حلمي مطر، القاهرة 1979.
37 ـ النقد الجمالي وأثره في النقد العربي، روز غريب، بيروت 1952

المحاضرة الثقافية

حدث في كاتماندو* د.عبد السلام العجيلي[4]

في مساء يوم خريفي في العام الفائت، وفي المقهى الصغير الملحق بالفندق الذي نزلته في جنيف، كنت أجيب على أسئلة كاتيا، ابنة صديقي الشاب، عن أقصى ما وصلت إليه في أسفاري في الشرق والغرب. قلت لها: في الشرق زرت في اليابان، بعد طوكيو ونيكّو ونارا، كيوتو وأوزاكا.. وفي العودة قضيت أياماً في النيبال، في كاتماندو. فاطلعتني الفتاة هنا وصاحت بأبيها: اسمع يا أبت أسمع.. لقد زار كاتماندو! ثم التفتت إليّ وقالت في انبهار: أصحيح أنك قضيت أياماً في كاتماندو؟.

والحق أنه ما من شيء يثير أصدقائي الغربيين، في لقاءاتي بهم في أوروبا وأمريكا، أكثر من علمهم بأني زرت في ذات يوم تلك البلاد القصية، التي تقع على

---

* ألقيت في المركز الثقافي العربي في حلب بدعوة من جمعية تنظيم الأسرة، وذلك في مساء 19 آذار 1986.

[4] - عبد السلام العجيلي كاتب سوري ولد في مدينة الرقة سنة 1918، عمل في الطب والسياسة إضافة للأدب. درس في الرقة وحلب ودمشق وتخرج في جامعة دمشق – طبيباً عام 1943، انتخب نائباً عن الرقة عام 1947. تولى عدداً من المناصب الوزارية في وزارة الثقافة والوزارة الخارجية والإعلام عام 1962. يعد أحد أهم أعلام القصة والرواية في سوريا والعالم العربي، وقد أصدر أول مجموعاته القصصية عام 1948 بعنوان بنت الساحرة. كتب عبد السلام العجيلي القصة والرواية والشعر والمقالة. بلغ عدد أعماله أربعة وأربعين كتاباً حتى 2005 من أهمها الليالي والنجوم، باسمة بين الدموع، الحب والنفس، فارس مدينة القطرة، أزاهير تشرين المدماة، في كل واد عصا. أحاديث الطبيب، ومجهولة على الطريق. ترجمت معظم أعماله إلى اللغات الإنكليزية والفرنسية والإيطالية والأسبانية والروسية، وتدرس العديد من أعماله في الجامعات والمدارس، رحل عبد السلام العجيلي في 5 أبريل من عام 2006.

سفوح جبال الهيملايا بين الهند والتيبت، بلاد النيبال وعاصمتها السحرية الاسم كاتماندو. قليل من الناس في بلادنا من سمع باسم هذه المدينة أو من علم بما أثرت به في نفوس الغربيين في أواخر الستينيات وأوائل السبعينيات من هذا القرن، وما زالت تؤثر.

لقد مثلت عنها أفلام وكتبت روايات، عدا ما تناقلته ألسنة الحجاج إليها من كل حدب وصوب. حجاج قصدوها لغايات متعددة ومتباينة، تتراوح بين البحث عن الصفاء النفسي بالابتعاد عن دنيا المادة التي غرق فيها الغرب.

كانت بلاد النيبال، حين زرت عاصمتها منذ خمسة عشر عاماً، قريبة الخروج من عزلة أبعدها بها ملوكها المتعاقبون عما يحيطها من بلاد، وعما في العالم من تطور، فظلت بذلك تحيا حياة بعيدة عن مدنية القرن العشرين بُعداً كبيراً. وهذا ما كان يجعل الغريب مثلي، القادم إليها من هونغ كونغ وطوكيو، يحس عند دخولها بأنه عاد فجأة عشرات العقود من السنين إلى الوراء، إذا لم يكن في كل نواحي الحياة، ففي كثير منها، في الطريق المتجه نحو كاتماندو من فندقنا المبعد عنها بعض الشيء، أشرنا إلى سيارة عابرة، فتوقف سائقها ليقلنا، ولم نعرف إلا بعد ركوبنا أنه كان قنصل أمريكا في البلد، حين اعتذرنا إليه بأننا حسبناه سائق سيارة أجرة، قال: إن نقله لنا لا يثقل عليه، فهو متجه إلى مركز المدينة، ويعرف قلّة وسائل النقل فيها، وكأنه أدرك استغرابنا، حين دلفنا إلى شوارع المدينة، لتمهله الزائد في سوق سيارته، إذ ابتسم وقال وهو يشير إلى بقرات جثمن متفرقات في وسط الطريق: عليّ أن أكون حذراً لئلا أثير مشكلة دبلوماسية، بتصرف غير مقصود مني.. البقر مقدّس في النيبال، والقوانين بشأنه صارمة.. من آذى بقرة طُرِدَ من البلاد في الحال، ومن تسبب بموتِ بقرة حكم عليه بالسجن عشر سنوات!.

وكثير من الوافدين قصدوا النيبال وهم ينشدون السكينة والنشوة الذي يتيحهما الحشيش المبذول فيها بلا رقيب، فإن بعضهم قصدها ينشد سكينته في انتسابه إلى إحدى نحلها المذهبية، وفي العيش في الأديرة والأشرام التي توفرها أديانها لمتعبديها. أديان غريبة ومتباينة، تتراوح بين البراهمانية المتشددة والبوذية المتسامحة، لكل منها معابدها وقديسوها وآلهتها. من بين هذه الآلهة إلهة أنثى من لحم ودم، على قيد الحياة، يقصدها عُبّادها من كل أنحاء البلاد، ويقدم لها ملك النيبال وملكتها الطاعة بزيارتهما لها في الأعياد والمناسبات المتعددة. زرت أنا ورفاق رحلتي هذه الإلهة الحية في أثناء إقامتنا في كاتماندو، ورأيناها رأي العين، ولم يكلفنا ذلك غير بضعة دولارات، كانت صبية في نحو الخامسة من العمر، مصبوغة الشفتين بالأحمر مكحلة العينين، مزججة الحاجبين بخضاب يمتد من حاشيتي عينيها إلى صدغيها.

أطلت علينا من شباك يعلو ساحة الدار التي وقفنا فيها، وكانت محاطة بفتيات في مثل عمرها، يتضاحكن ويتلاعبن وهي تشاركهن الضحك واللعب. إنها إلهة موقتة. تستمر الوهيتها ويستمر النيباليون في عبادتها إلى أن تبلغ مبلغ النساء، أعني في الثانية عشرة من عمرها أو الثالثة عشرة. حينئذ تنزل عن عرش الألوهية لتقيم في دير منعزل، تعيش حياة الرهبانية بينما تحتل مكانها آلهة جديدة، صبية في السنين الأولى من عمرها، كان الرهبان قد وجدوا فيها سمات الألوهية، بدلائل في جسدها وتاريخ مولدها وتصرفاتها، فنصبوها رباً يعبد!.

لكل من هذه الأديان المتعددة في النيبال معابدها. وأكبر هذه المعابد وأشهرها معبد ساوايا مبونات المشرف على كاتماندو من تل عال، وتعلوه قبة مربعة القاعدة رسمت عليها ثماني أعين لبوذا مفرطة الاتساع، تطل كل اثنتين منهما على العالم من إحدى الجهات الأربع. أما في قلب كاتماندو، وفي ساحة دوربار بصورة خاصة، فهناك أكثر من معبد على شكل باغودات متعددة الأدراج

إذا كان سكان المدينة وزوارها المقيمون يمرون بها غير مبالين، فإن الزائر الجديد لا بد أن يقف دقائق كثيرة أمامها، مرفوع الرأس، يتطلع بعينيه المجردتين أو بالمناظر المكبرة ليتملى من المنحوتات المثبتة في أركانها. تلك المنحوتات تماثيل صغيرة يتراكب بعضها فوق بعض، عشرات بل مئات، تصور كل منحوتة منها حكاية بعينها، ولكن في أوضاع متغيرة، هي الحكاية الإنسانية الأبدية، حكاية الوصال الجسدي بين امرأة ورجل. فإذا أبدى الزائر الجديد عجبه من أن يكون المعبد الديني مستقراً لمثل هذه التجسيدات الجنسية الفاضحة التي لا تليق إلا بمعاهد الفسق والفجور، قصَّ عليه مرافقه تاريخها فكفَّ عن العجب وسكت عن الانتقاد.

يعود تاريخ هذه التماثيل إلى عصر قديم من عصور النيبال، فحين دخلت البوذية إلى تلك البلاد، قبل قرون عديدة، تعلق بها السكان، وسحروا بتعاليمها، وتسابقوا إلى الانخراط في رهبانياتها، نائرين الزهد في شهوات الدنيا، وأولها الشهوة الجنسية، مبتعدين بذلك عن أي مقاربة بين الرجال والنساء، وانتبه ملك النيبال ذات يوم فإذا بغالبية رعاياه قد لبست ثياب البونز الصفر، ثياب التنسك والترهب، مما ينذر بتضاؤل التزاوج، ثم بتضاؤل التوالد، عاماً بعد عام، ثم بنقص عدد المحاربين في جيوشه، مما سيطمع جيرانه بمملكته، عندما لا يجدون أمامهم من يحمل سلاحاً يصد به غزواتهم عليها. ماذا يفعل هذا الملك أمام موجة الامتناع عن الزواج والإنجاب في بلاده؟ أشار عليه وزراؤه بأن يحارب العفَّة بالإغراء والغواية، وبأن يأمر بنصب تماثيل عديدة تصور الأوضاع الجنسية الفاضحة والمثيرة في كل زاوية من زوايا المعابد التي يقطنها ويؤمها النساك لتعيدهم إلى سلوك سنة الحياة في الحفاظ على النوع. وهكذا جرى. وهكذا ألقى المتنسكون أرديتهم الصفر متراجعين عن رهبانيتهم، فضمن ملك النيبال رفداً مستمراً لجيوشه، وسوراً حامياً لمملكته.

جرى هذا كما قلت في زمن بعيد، قبل أكثر من ألف عام على ما يذكر النيباليون في تاريخهم، وهو تاريخ تمتزج فيه الحقائق بالأساطير، حين نسمع بهذا منقولاً عن ألسنة النيباليين، أو نقرؤه، ترتسم على شفاهنا ابتسامة سخرية، يرافقها الاستغراب مما يمكن أن نسميه **دوافع الأزمة الديموغرافية، أو أزمة السكان والمواليد**، في ذلك الزمن البائد، ومن أسلوب ملك النيبال ذاك في معالجة تلك الأزمة.

إلا أننا لو ألقينا نظرة نافذة إلى أوضاع السكان والمواليد في عصرنا الحاضر عند أكثر الأمم تقدماً، لارتسمت على شفاهنا ابتسامة سخرية مماثلة. أما إذا كانت نظرتنا إلى أوضاع السكان والمواليد نفسها في الأمم المختلفة فإن ابتسامتنا ستكون ابتسامة رثاء وأسى، أو أن الابتسامة ستبهت لتتلاشى في حس تخوف وفزع.

ذلك أن عالمنا اليوم يمر بأزمات في أوضاع السكان والمواليد، أزمات ديموغرافية حسب ما سميتها، تذكرنا بما مرت به النيبال في ذلك الزمن الغابر، وتدعونا إلى السعي إلى حلها، كما سعى ملك النيبال إلى حل أزمة بلاده في يومها.

وأرجو أن لا يظن أحد أني أشير بهذا بوجوب إتباع أسلوب ذلك الملك في إشاعة الغواية ونصب التماثيل الفاضحة والصور الفاجرة في كل مكان يرتاده شباب هذا الزمن. إثارة من هذا الطراز لا تنقص هؤلاء الشباب، فقد تكفلت بها أفلام السينما، وأشرطة الفيديو، وصور العري في المجلات السيارة، وأدب التحرر الجنسي. بل إن جانباً من مسببات الأزمة التي نحن بصددها يعود إلى تأثير أساليب الغواية هذه، وإن اختلفت نتائج هذا التأثير في العالم المتقدم عنها في بلدان العالم الثالث التي نسميها دولاً نامية.

أحسب كثيرين منكم يتساءلون الآن عن ماهية الأزمة التي أتكلم عنها وهم لا يحسون بوجودها أو أنهم، على الأقل، لا يملكون عنها معرفة تامة، الأزمة

الديموغرافية في عالمنا كله، شرقه وغربه، متقدمه والمتخلف فيه. أستطيع من خلال تلخيص ما دار في مؤتمر أقامته اللجنة الوطنية الفرنسية للطفولة، عقد في باريس منذ شهور قليلة، أن أعطي إضاءة خاطفة، ولكنها موضحة لملامح هذه الأزمة. وردت هذه الإضاءة في كلام خطيبين من خطباء ذلك المؤتمر. تحدث أولهما عما يهدد دول الغرب من شيخوخة أجيالها التي تزايدت في الخمسين عاماً الأخيرة، نتيجة نقص عدد المواليد فيها من ناحية، وارتفاع أعمار كهولها من ناحية ثانية، وتحدث الخطيب الثاني عما يهدد بلدان العالم الثالث، ويؤدي إلى خلل في توزيع البشر في العالم كله، من جراء ارتفاع عدد السكان في هذه البلدان، نتيجة كثرة الولادات فيها، مضافاً إليها تضاؤل أعمار أجيالها الجديدة، وهو ارتفاع سيجعل تسعة أعشار سكان الأرض في القرن المقبل من أبناء العالم الثالث.

يذكر كثيرون منكم كلمة(برنارد شو) التي فسر بها في ذات يوم أسباب ما يشكو منه العالم في المجال الاقتصادي، إذ أشار إلى جمجمته الصلعاء وإلى لحيته الكثة قائلاً: الأمر في خيرات هذا العالم وموارده كأمر الشعر في رأسي.. كثرة في الإنتاج وسوء في التوزيع! وما تحدث به خطيبا مؤتمر اللجنة الوطنية الفرنسية للطفولة اللذين أشرت إليهما، يذكرنا بكلمة (برنارد شو) تلك. فما من شك بأن ثمة تخلخلاً في التوازن الديموغرافي حادث في عالمنا المعاصر، أو أننا مهددون بحدوثه في مستقبل قريب. وهذا التخلخل يؤذن بخطر علينا أن نستعد له وأن نتوقاه. إنه خطر كان دعاة المالتوسية قد أنذروا به، منذ مائتي سنة، وكذبتهم الوقائع في القرن الماضي، ثم جاءت وقائع هذا القرن كأنها تدعو إلى تصديقهم من جديد.

مالتوس، كما تذكرون، كان قساً إنكليكانياً عاش بين سنتي 1766 و1834 يقول بأن تكاثر سكان الأرض دون ضابط يهدد بالمجاعة العالمية، وبالكوارث

التالية لها. ذلك لأن البشر يتكاثرون حسب متوالية هندسية بينما تتكاثر موارد الغذاء في الأرض، في أحسن الأحوال، حسب متوالية حسابية.

على الإنسان إذن أن يتدخل تخطيطاً وتنظيماً في سياسة الولادات لئلا يختل التوازن السكاني بالتباعد المتعاظم بين هاتين المتواليتين. وفي خلال القرنين اللذين أعقبا صياغة مالتوس لنظرياته مرت البشرية بأحداث كثيرة، كما تطورت معارفها وإمكاناتها تطورات كثيرة لم تدر بخلد ذلك القس الانكليكاني. وقد تبين من تأثير هذه التطورات وتلك الأحداث أن التوازن السكاني، وكل أنواع التوازن التي صاغتها الطبيعة في خلال مئات القرون وآلافها على سطح الأرض، تخضع لعوامل ولقوانين ليس من السهل المساس بها، دون حساب دقيق، وإلا انتهى هذا المساس بكوارث ليست على البال.

رويت مرة في بعض كتاباتي أن الصينيين، في أيام ماوتسي تونغ، شنوا حملة على الذباب، بأن ألزموا كل مواطن صيني بأن يقتل مائة ذبابة كل يوم، وعلى عدة أيام في شهور معينة من شهور السنة. فلم تمض فترة من الزمن حتى فقد الذباب من أرجاء تلك البلاد، وشجّع نجاح هذه الطريقة المسؤولين هناك على تطبيقها ضد عصافير الدوري، التي تنطو في العادة على المحاصيل في مواسم الحصاد، فتلتهم كميات غير هينة من الحبوب والبقول. ألزم عندئذ كل صيني في المناطق الزراعية وما حولها، بأن يصطاد عدداً محدداً من عصافير الدوري، فخلت أجواء الحقول من تلك الطيور الأفاقة، وسر المزارعون بسلامة محاصيلهم من آذاها. إلا أن هؤلاء المزارعين أنفسهم اكتشفوا في موسم الحصاد والقطاف التاليين أنهم أصيبوا بما هو أدهى مما كانت تنزله بهم عصافير الدوري. فقد غزت مجاميع هائلة من الديدان والحشرات المتنوعة، تلك التي كانت تتغذى عصافير الدوري بها وببيوضها على مدار السنة، غزت حقولهم فالتهمت البذور وفتكت

بالزروع، وكانت الكارثة التي لم يحسب المخططون البيروقراطيون في الإدارات والوزارات حسابها.

هذه صورة من صور التوازن الذي أقرته الطبيعة في عالم الحيوان، التوازن الذي يجب أن يحسب لعوامله ومعطياته حساب دقيق عند الاضطرار للمساس به. فإذا انتقلنا إلى الإنسان وجدنا أن بقاء نوعه على الأرض قد فرضته في الأزمان القديمة عوامل بيولوجية وبيئوية جعلت سكان الأرض آنذاك محدودي العدد والزيادة، في نطاق قل أن أدى إلى خلل في كفاية موجود الغذاء وقل أن أثار خواطر المفكرين على وجود هذا الخلل. إلا أن تقدم المعارف البشرية، والإمكانات التي أتاحها هذا التقدم جعلت الإنسان يسعى لتجاوز ذلك التوازن الطبيعي، ويسعى لتغييره لما ظن فيه مصلحة الفرد أو مصلحة الجماعة. وكلما تقدم الإنسان في المعرفة وجد الجرأة على مد يده إلى عامل جديد من عوامل التوازن الطبيعي غير مهتم، أو غير منتبه إلى الخطر الذي تجره على الإنسانية جرأته. وما شكا منه المتحدثان اللذان أشرت إليهما آنفاً هما وجهان للخطر الذي نجم عن تدخل الإنسان بصورة عشوائية أو لا عقلانية في مسار التوازن الطبيعي. وجه تتعرض له البلاد الصناعية المتطورة، وآخر تتعرض له البلاد التي يقولون عنها أنها في طريق التطور أو هي البلاد النامية.

في بلاد الغرب الصناعية يشكو المشرفون على مقدراتها والدارسون لتوقعات المستقبل فيها من قلة الولادات في شعوبهم، مما يهدد بتناقص مروّع في عدد أفراد تلك الشعوب، وبالتالي لنقص في إنتاجها وفي قدرتها وفي مقاومتها للاضمحلال. فإذا ظلت الولادات في فرنسا، مثلاً، على ما هي عليه اليوم فإن الفرنسيين الذي يبلغ عددهم اليوم أربعة وخمسين مليوناً سيعدون، على ما يقوله المتشائمون من الباحثين، سيعدون عشرين مليوناً فقط في عام 2050.

وآنذاك لن يتجاوز عدد سكان أوروبة كلها مائة وثمانين مليوناً! إنه تخوف مستقبلي جعل الجنرال دوغول يخطب في شعبه ذات مرة فيقول «إذا لم يتكاثر الشعب الفرنسي فإن فرنسا لن تكون غير نور ساطع آخذ بالانطفاء». وقد مضى على خطاب دوغول هذا، وقد ألقاه في عام 1945، أربعون سنة، ومع ذلك فقد استمر عدد الولادات السنوية، في فرنسا وفي غيرها من البلدان الصناعية، في التدني عاماً بعد عام.

أترى الغربيين في حاجة إلى أسلوب مثل أسلوب ملك النيبال في الإثارة الجنسية ليعمروا بلادهم بالنسل الجديد الذي يفتقدونه؟.

يقيناً أن حلاً مثل هذا لم يخطر في بال المنظرين والمخططين لزيادة الولادات في بلاد الغرب. فهم يعرفون أن الإثارة الجنسية المفرطة أعطت في البلدان الصناعية المتقدمة، وفي القرن العشرين، نتيجة معاكسة لما أعطته في نيبال القرون الغابرة. الإثارة الجنسية، كما هو واضح، لا تكفي. فلا بد من أن يقترن بها حس بالمسؤولية تجاه المجتمع الذي يعيش فيه الإنسان حتى يتوفر الإنجاب. هذا الحس فقده الغربيون واستعاضوا عنه بالهيدونية التي هي البحث عن اللذة للذة نفسها، دون الالتزام بعواقبها. لم تعد العلاقة الجنسية وسيلة لبقاء النوع كما أرادها الله لعباده، بل أصبحت غاية بذاتها.

وباسم حرية المرأة، وحقها في العيش طليقة من التزامات الأمومة، وباسم تفرغ الرجل لطموحات النجاح بعيداً عن ارتباطات الأسرة التي عليه إعالتها، تخلّى الشريكان عن الإنجاب. وسهل ذلك عليهما التقدم العلمي الذي ضمن لهما حرية التمتع بما تدعو إليه غواية ملك النيبال لرعاياه، دون أن يحققا ما ابتغاه ذلك الملك من ثمرة إيجابية لتلك الغواية.

من العوامل البيولوجية في التوازن الديموغرافي لبني البشر أن ثمة نسبة تكاد تكون ثابتة بين عدد الذكور والإناث في الولادات: مائة وخمسة ولدان من

الصبيان لكل مائة وليدة من البنات. ما الذي أوجب هذه النسبة الثابتة في الظروف العادية، ظروف الرخاء والأمن والسلام؟ لعل ذلك لأن المقدر للرجل أن يكون عرضة للأخطار التي تهدده بالموت السريع أكثر من المرأة، في ذات مرة جاءني قرويّ بزوجته لأتولى معالجتها. كان القلق واضحاً على ملامحه، وفي حديثه وهو يسألني عن مدى خطورة مرض امرأته، متخوفاً من أن يقضي هذا المرض عليها. طمأنته بقولي إن ما بها لا يخيف، وأنها ستشفى بإذن الله، بعد أن تتناول دواءها. إلا أن قلق الرجل لم يتبدد بأقوالي، وظل يلحّ عليّ بالسؤال والاستفهام مردداً:

أنا خائف يا حكيم عليها من الموت.. جسمها ضعيف.

قلت له عندئذ: ربما كان جسمها ضعيفاً، ولكن النساء يتحملن المرض أكثر من الرجال. يموت الرجال قبلهن دوماً ويبقين هن على قيد الحياة.. هل سمعت برجل أرمل؟ كل الأرامل نساء، بمعنى أنهن دفنّ أزواجهن قبلهن!.

كانت تلك جملة قلتها لطمأنة الرجل على زوجته، إلا أن مضمونها لا يخلو من صحة. إذا لم تكن المرأة أطول عمراً من الرجل لتفوق مقاومتها للأمراض على مقاومته، فلأن تعرضها للأخطار المميتة أقل من تعرضه هو لتلك الأخطار.

ربما كان هذا أحد الموجبات لوجود تلك الظاهرة البيولوجية المتمثلة في زيادات عدد المواليد الذكور عن الإناث منذ خلق الإنسان، وفي كل المجتمعات، ويدعم هذه الفرضية ما أثبتته الإحصائيات من ارتفاع نسبة الولادات في الذكور في أثناء الحروب وفي أعقابها عنها في أيام السلم. بأية آلية يتم هذا الارتفاع؟ تضاربت النظريات في ذلك. ثمة من يفسر هذه الآلية بأن الحرب تستدعي نقصاً في الأغذية الغنية بالبروتينات الحيوانية في طعام السكان. وهذه البروتينات الحيوانية هي التي تؤهل لولادة الإناث، بينما يؤهل التغذي بالبروتينات النباتية، وهي طعام السنين العجاف في الحروب والمجاعات، لولادة الذكور، ولعل لعوامل القلق النفسي نصيباً من التأثير في هذا الواقع الذي تثبته الإحصاءات المتعددة...

يؤكد تأثير عوامل القلق النفسي هذه ما تبين من أن زيادة عدد المواليد الذكور يبدو بوضوح في الأحمال غير الشرعية التي تتكون الأجنة فيها في ظروف قلق نفسي لا شك فيها. الصبيان من اللقطاء، كما تشهد مختلف الإحصاءات، هم أكثر دوماً من البنات اللقيطات.

إذا كنت عرجت في حديثي على هذا اللون من ألوان التوازن البيولوجي في المواليد، فذلك لأن الباحثين في المستقبل الديموغرافي للعالم يخشون من أن تمتد إليه تصرفات أبناء الدول المتقدمة ليخلخلوه من أصوله، فيزيدوا على ما خلّفوه من اضطراب في الواقع السكاني لبلادهم، وللعالم بأسره، اضطراباً جديداً وخطيراً.

الذين يذكرون منكم ما أذكره من قصص الأدب العربي القديم يعرفون حكاية الأعرابي أبي حمزة وزوجته رباب. سمع أبو حمزة أصحابه يتحدثون عن الأولاد والانتفاع بهم فقال لأهله:

زوجوني امرأة أولدها ولداً أعلمه الفروسية حتى يُجري الرهان، والنزع عن القوس حتى يصيب الحدق، ورواية الشعر حتى يفحم الفحول. قالوا: فزوجوه من رباب، فحملت وولدت ابنة، فقال بها شعراً لا أستحل أن أرويه في محفل عام، ثم حملت حملاً آخر فولدت ابنة أخرى، قال فيها شعراً أعتذر عن عدم تمكني من روايته لكم كذلك، ثم ولدت له ابنة ثالثة فهجرها وراح يتردد على جارة لها، فقالت فيه رباب:

ما لأبي حمزة لا يأتينا ... يظل في البيت الذي يلينا

غضبان أن لا نلد البنينا ... تا لله ما ذلك في أيدينا

وإنما نأخذ ما

قالوا: فألانه قولها ورجع إليها.

ذلك زمن قديم، كان أبو حمزة فيه مضطراً إلى انتظار انقضاء حمل زوجته ليتبين جنس ما تلده، ومضطراً بعدها إلى الرجوع إلى ما يقضي الله به له من ولد، ذكراً كان أم أنثى.

ولكن العلم الحديث في زمننا هذا أصبح يسمح بمعرفة جنس الجنين ومعرفة كثير من مميزاته وعاهاته في الأسابيع الأولى من الحمل. ثم إن قوانين كثير من البلدان الصناعية أصبحت تبيح الإجهاض، وتخلص الحامل من حملها لأتفه الدواعي

فماذا لو أن الفرد المتمتع بمعطيات العلم، والمتحرر من مسؤولية الأسرة، والرافض لمواضعات المجتمع سخر كل هذه العوامل لتحقيق رغباته الأنانية، وفي انتقاء الجنس الذي يهواه لوليده المقبل؟ أليس معنى ذلك أن تجد الإنسانية نفسها في ذات يوم في الوضع الذي رسمه لها الدوس هكسلي في روايته المخيفة «العالم الطريف»؟.

كل هذا الذي تحدثت عنه يتعلق بما دار في مؤتمر اللجنة الوطنية الفرنسية للطفولة عن شيخوخة أجيال السكان في بلدان الغرب المتقدمة، الشيخوخة المتوقعة والمسببة عن نقص الولادات مضافاً إلى ذلك النقص تطاول أعمار هذه الأجيال. ولكن الغرب ليس كل العالم، وتخلخل التوازن السكاني ليس مقصوراً عليه. نحن أيضاً في هذا الجانب من ظهر البسيطة، نحن أبناء البلدان النامية أو السائرة في طريق التطور صناعياً واقتصادياً، فريسة تخلخل التوازن، غير أنه تخلخل يسير في اتجاه معاكس لما سار عليه تخلخل البلاد الغربية. وهذا ما عناه المتحدث الثاني في ذلك المؤتمر حين أشار إلى أن العالم الثالث، إذا ظلت الأمور تسير في مسارها الحالي، سيطغى بكثرة أبنائه على سكان الأرض، إذ إنهم سيؤلفون في نهاية القرن المقبل تسعة أعشار الأحياء من البشر على سطح كرتنا الأرضية. أترى أن علينا أن نبتهج بهذا؟ ولماذا يحدث هذا؟.

تكلم المتحدث الثاني ذاك بلهجة المشفق على مصير العالم الثالث، يوم يحقق تكاثر أبنائه مقولة مالتوس بأن أغذية الأرض المتزايدة بمتوالية حسابية لن تكفي سكانها المتزايدين حسب متوالية هندسية، تحت إشفاق ذلك المتحدث يختفي بلا شك تخوف من طغيان أبناء العالم الثالث على سكان البلدان المتقدمة في المائة السنة المقبلة. ماذا يحدث لو زحف تسعة أعشار بشر العالم، وهم جياع فارغو البطون، على العشر الذي يقطن بلدان العالم المتطور الغاصة بالخيرات؟ من الأصلح إذن لبني البشر على اختلاف مواطنهم أن تنصرف الجهود لتوقي هذا التكاثر غير المعقول لسكان البلدان النامية، في وقت يصاب فيه سكان البلدان المتقدمة بتناقص غير مقبول.

حتى الثلث الأخير من القرن التاسع عشر كانت العوامل الطبيعية هي المنظم الرئيسي لعملية التوازن الديموغرافي، في أصقاع الشرق والغرب على السواء. الولادات كانت كثيرة هنا وهناك، ووفيات الأطفال واليفعان والكهول كثيرة أيضاً هنا وهناك، مما جعل عدد الأحياء على سطح الأرض ثابتاً أو قريباً من الثبات، أو في تزايد طفيف لا يكاد يشعر به على مدى القرون الطويلة، لنأخذ الصين، مثلاً، فالمؤرخون يملكون عنها تقديرات يعتقدون بقربها من الواقع.

ففي مطلع القرن الميلادي الأول كان سكان الصين يعدون سبعين مليوناً، وظل عددهم يتأرجح زيادة ونقصاناً على مدى قرون طويلة، كانوا ستين مليوناً في منتصف القرن الثاني، وتناقصوا إلى خمسين مليوناً في عام ستمائة للميلاد، وأعلى ما وصل إليه عددهم في القرون الوسطى كان مائة وعشرين مليوناً في مطلع القرن الثالث عشر، إلا أنه ما لبث أن تراجع إلى الرقم القديم بعد مائتي عام، فأصبح الصينيون ستين مليوناً في عام 1400 للميلاد.

كانت العوامل الطبيعية أو التقليدية، من أمراض مستوطنة وحروب ومجاعات، هي التي تتكفل للديموغرافيا بالتوازن، إذا صحت تسميتنا ما كانت عليه

الأوضاع الديموغرافية توازناً. وحين يرتفع عدد البشر الأحياء على سطح الأرض بأجيال متتابعة من الأمن والرخاء، فإن كوارث لا يملك الإنسان لها دفعاً لا تلبث أن تبرز دون توقع، على شكل أوبئة حاصدة بصورة خاصة، لتعيد مؤشر عائق القبان إلى نقطة الصفر أو ما يقاربها، فقد قضى وباء الطاعون الذي اجتاح أوروبا عام 1348 على ثلث سكان القارة في نحو من خمسة أعوام. ولا شك في أن ثبات عدد سكان الصين في خانة الأرقام التي ذكرناها، أعني بين الخمسين والستين مليوناً، خلال أربعة عشر قرناً، يعود إلى هذه العوامل من تقليدية واجتياحية. فما الذي ظفر بالصينيين هذه الطفرة الكبيرة، بأن تجاوز عددهم في العقد قبل الأخير من القرن العشرين ألف مليون؟.

ظلت العوامل الطبيعية التي ذكرتها هي المنظم الرئيسي لبقاء الأوضاع الديموغرافية على ما كانت عليه حتى الثلث الأخير من القرن الماضي، بعد ذلك برزت التطورات والثورات المتتابعة، التي مصدرها الغرب وبلدانه الصناعية، وأخذت في تغيير مفاهيم البشر وفي تغيير وجه الأرض. ولأن مصدر تلك التطورات والثورات هو الغرب فقد كان تأثيرها على الناس الذين ابتدعوها، أعني على الغربيين، أعمق وأشمل، تأثرت بها عقليتهم، وتأثر بها سلوكهم وطراز العيش عندهم. أما في بلدان العالم الأخرى، تلك التي تلقت تطورات عصر التقدم وثوراته تلقياً ولم تشارك في إبداعها، فقد كان التأثير محدوداً، ومقتصراً على طراز العيش أكثر منه على العقلية. ومن هنا حدث الافتراق بين الشرق والغرب في أمور كثيرة، وسار كل منهما في اتجاه مغاير لاتجاه الآخر في أمور كثيرة.

قال الشاعر:

سارت مشرقة وسرت مغربة شتان بين مشرق ومغرب

وفي ترديدنا لهذا البيت نعبر تعبيراً صحيحاً عن موقف شقي العالم من قضية السكان والولادات التي انسقت إلى التحدث عنها. فشتان بين من أتاح له

التقدم العلمي التحكم بالإنجاب وزين له الزهد فيه، ثم أفرط في ذلك الزهد حتى أصبح يخشى عليه من عاقبته في نقص عدد السكان، وبين من سهّل عليه التقدم العلمي نفسه التكاثر إذ أمّن مواليده من غول الوفيات المبكرة، فأصبح يخشى عليه من عاقبة التكاثر الذي يهدد بالبؤس والجوع. شتان بين الموقفين، وإن كانت السخرية المرة في أن كليهما ينتهي بنتيجة واحدة مفرطة في التشاؤم ومثيرة للخوف والهلع.

نعم لقد سهل التقدم العلمي على الشعوب النامية تكاثرها، دون أن يقوى هذا التقدم على تطوير عقليتها، بأن يوقف هذا التكاثـــر عند الحدود المعقولة، نحن في شرقنا العربي لسنا من المغرقين في التخلف بين الشعوب النامية، ولكن مجتمعاتنا في كثير من أقطارنا لا تزال متعلقة بأفكار القرون السالفة في مجال تركيب الأسرة. فلنترك جانباً سكان الأحياء الراقية والأسر المثقفة في مدننا الكبيرة، ولننظر إلى الريف الذي هو أساس تكويننا سكانياً، لنشهد بعض ما نراه مستغرباً حتى الاضحاك، وهو، في غالب الحيان، اضحاك ميطن بالمرارة.

إن لي، كطبيب، مشاهدات كثيرة في هذا المجال. في أكثر من مرة استقبلت في عيادتي امرأة شابة لم يمض على فطامها لوليدها أكثر من أربعة أشهر، جاءتني تطلب مني معالجة تعينها على أن تحبل من جديد، أقول لها: كم لك من أولاد؟ فتجيبني إنها أنجبت قبل الآن ثلاثة. فإذا سألتها: ألا تستريحين من الحمل بضيعة أشهر؟ أجابتني بلهجة بين الاستغراب والأسى: كيف؟ ورفيقاتي بطونهن ملأى، حبالى، سيلدن بعد شهرين أو ثلاثة؟! ومرةً جاءتني امرأة ظلت عاقراً أمداً طويلاً ثم أفادت من معالجتها بعد طول انتظار، جاءتني تحمل رضيعها الذي لم يكن عمره يتجاوز خمسة شهور، وهي تقول: ألا تصف لي ذلك العلاج يا حكيم؟ كان النجاح به على يدك والحمد لله. أعطني وصفته لأتناوله الآن. قلت لها: أنت

ترضعين ابنك، فانتظري إلى ما بعد فطامه.. ثم إنك قد لا تحتاجين إلى ذلك الدواء.

فردت عليّ بقولها، وهي تعني ما تقول: بل أريد أن أحمل منذ اليوم.. تكفيني السنوات التي أضعتها قبل الآن!.

تلك عقلية كانت مقبولة في الزمن الغابر، أو أنها ظلت مقبولة إلى أربعين عاماً مضت، قبل ظهور الصادات، الانتيبيوتيك، وما رافق استعمالها من تقهقر وفيات الأطفال وطول عمر المواليد حتى يبلغوا الكهولة. وتلك كانت عقلية مقبولة عندما كانت عصبية الأسرة ثم العشيرة هي حصن الأمان للفرد في مجتمعات تسودها الأعراف القبلية. الكثرة، والكثرة في الذكور من النسل، هي مجال التفاخر ومصدر القوة. كانت المرحومة الحاجة هلالة، جارتنا الخفيفة الروح التي فقدت كل ولدانها الذكور في وافدات الحصبة المتلاحقة فلم يبق ممن ولدتهم غير البنات، مما جعل زوجها يتزوج عليها أكثر من واحدة بحجة حاجته إلى خلف له من الذكور، كانت الحاجة هلالة تقول: ماذا أصنع لحظي، لم يصبح عبد السلام طبيباً إلا بعد أن مات كل أولادي من الصبيان؟! وهي تعني بعبد السلام ما يمثله من طب حديث وأدوية ناجعة في وافدات أمراض الأطفال، الأدوية التي لم تكن بلادنا تعرفها قبل الخمسينيات.

لقد تجاوزت شعوب الدول النامية خطر الوفيات المبكرة باستخدامها التقدم العلمي، إلا أنها لم تفلح بعد في تجاوز خطر التكاثر، باستخدامها التفكير العلمي في الحين الذي تضاءلت فيه الحاجة إلى هذا التكاثر، كموازن للوفيات المبكرة أو الجائحات المبيدة، وهذا ما جعل الباحثين المستقبليين يتخوفون من مجيء وقت لا يتحقق التوازن السكاني فيه إلا بمجاعات شاملة مثل التي تجتاح إفريقية اليوم، أو عن طريق قنابل الهيدروجين النيوترون من التي تتنافس الدول العظمى في

صنعها، ويفوق فتكها فتك قنبلتي هيروشيما وناغازاكي آلاف المرات. كوارث ستكون بمثابة الطوفان الذي تحدث عنه أعمى المعرة حين قال:

الأرض للطوفان لعلها من درن تغسل

في الصين، وأعود إلى الصين، تردد من بيدهم مقاليد الأمور مرات ومرات في سياسة تنظيم الولادات، بغية أن يتوازن عدد سكان تلك البلاد مع منتجات أرضهم من الغذاء، ومع إمكانات تهيئة العيش الكريم لهم، وذلك منذ أصبحت تلك البلاد شيوعية النظام. مرة كان الحاكمون هناك يحسبون حساب الانفجار السكاني بتزايد الملايين من مواطنيهم في كل عام، فيفرضون على شبابهم العفّة ويؤخرون سن الزواج. وهذه التدابير هي عين ما كان يقول به مالتوس. ومرة يرجعون إلى مبادئ الاشتراكية التي تعتبر تنظيم الولادات بتحديدها سياسة رجعية، والتي تقول بأن كل فم يأكل يعني بدين تنتجان، متذكرين أن كارل ماركس كان واحداً من كبار منتقدي المالتوسية. ورغم خفض عدد الولادات في الصين اليوم إلى ما يجعل نسبة النمو السنوي لمواطنيها 1 في المائة، فإن بلاداً يبلغ عدد سكانها مليار نسمة لا بد أن يزداد هؤلاء السكان فيها في كل عام خمسة عشر مليوناً جديداً من الأفواه التي تريد طعاماً وكساء وخدمات في كل المجالات، وذلك قبل أن تتحول إلى أيد منتجة.

ولماذا الصين؟ نحن في بلادنا نحمد الله على أننا نملك أرضاً واسعة، فيها ثروات متعددة ظاهرة ودفينة، غذائية وغير غذائية، لا يزال كثير منها غير مستثمر، هذا يطمئننا إلى أننا، في الحاضر، غير معرضين إلى ما تتعرض له بعض أقطارنا العربية من مخاطر تكاثر الأفواه الطاعمة قبل أن يتاح لأيديها أن تنتج. ولكن تعالوا لننظر بعين نافذة إلى المستقبل القريب وإلى تكاثرنا فيه، مستدلين عليه بتكاثرنا في السنين القريبة الماضية، ولنقارن بين زيادتنا في السكان

خلال ثلاثين عاماً وزيادة بلد غربي، مثل فرنسا، في الأعوام نفسها، في عام 1952 كان عدد سكان سورية ثلاثة ملايين ونصف، أو أربعة ملايين في أكثر التقديرات، أما فرنسا فكانت تعد في ذلك العام 42 مليوناً من النفوس. تجاوزنا اليوم في العدد عشرة ملايين[5] بينما بلغ عدد سكان فرنسا أربعة وخمسين مليوناً.

هذا يعني أن الفرنسيين تكاثروا بنسبة 28,5 بالمائة، بينما بلغت نسبة تكاثرنا 300 بالمائة، تكاثرنا ونحن في بلد نام، بأكثر من عشرة أضعاف تكاثر ذلك البلد المتقدم. حين رددت هذه الأرقام على مسمع صديقي اكتست ملامحه بالرضا وقال: سررتني بهذا، فقد قال رسول الله (ص) في حديث رواه البيهقي: تزوجوا فإني مكاثر بكم الأمم. قلت له: كأنك نسيت حديثه الآخر الذي رواه البيهقي أيضاً، حين قال عليه الصلاة والسلام: يوشك أن تتداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة على قصعتها، قالوا: أوَ مِنْ قلة يا رسول الله؟ قال: بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل...

إذن فهذا هو الأمر في شقي العالم من الناحية الديموغرافية: غرب صناعي يشكو من نقص في الولادات، مترافق بطول عمر عند الكهول والشيوخ، مما يبئس شرايين الشعوب، ويلقي عبء الإنتاج على شريحة ضيقة من شرائح المجتمع، آخذة بالتضاؤل عاماً بعد عام، وبلدان نامية في آسيا وإفريقية وأمريكا اللاتينية تحسب حساب مستقبلها في تخوف من نسل متزايد ومفرط في الفتوة، مما يثقل كاهل المعيل الذي هو في غالب الأحيان رجل واحد في أسرة متعددة الأفراد. شكايتان لا بد من معالجتهما ليعود إلى العالم توازنه السكاني ويتقي الكوارث التي ينذر بها المتشائمون، وإذا كانت الطبيعة في غابر الأزمان تؤمن ذلك التوازن

---

[5] – عام 1986، أما اليوم فيتجاوز 24 مليوناً.

بوسائلها الجارحة المؤلمة، فإن في مكنة إنسان اليوم، إن عقل، أن يؤمّن التوازن بأساليب بعيدة عن الجرح والإيلام مستعيناً بما يزوده به العلم الحاضر من قدرات. ولعلنا قادرون على أن نعرّف الطريق على التوازن الذي نتكلم عنه بكلمة واحدة، ألا وهي الاتزان. نعم، إن هذا التوازن لا يمكن أن يصل إليه متقدمو العالم ومتخلفوه إلا بسلوكهم إليه طريق الاتزان.

أين يجد شقا العالم هذا الاتزان المطلوب منهما سلوكه؟.

لنترك الغرب الصناعي يبحث عن اتزانه، فهو يبدو لنا على قدرة في معالجة أمره، حتى لقد جنى من هذه المعالجة بعض الثمرات في السنين الأخيرة، كما يثبت ارتفاع عدد المواليد فيها في بعض بلدان أوروبا مثل فرنسا وألمانيا، من وسائل هذه المعالجة الدعاية الناشطة للإنسال، ومنها تشجيع الولادات المتعددة في الأسرة الواحدة بتخصيص راتب للطفل الثالث وما بعد الثالث، ومنها إطالة فترة الحضانة للأم الولود وضمان راحتها وراتبها في تلك الفترة الطويلة. أقول فلنترك للغرب أن يبحث عن اتزانه، ولنبحث نحن عن اتزاننا، أين نجده..

توعية المواطن إلى مصلحته ومصلحة مجتمعه في ضبط النسل وتنظيم الأسرة هي أولى الخطوات في سبيل الاتزان، إنها توعية تقوم بها مشكورة رابطة تنظيم الأسرة والجمعيات المماثلة المنتمية إلى الاتحاد العالمي لتنظيم الوالدية. على أنها توعية تظل قاصرة في بلادنا إذا لم يستهدف نشاطها المناطق التي يعيش فيها التخلف والجهل وأبوهما الفقر. ثم إن التوعية التي تقوم بها منظمات متطوعة لا تكون فعالة ما لم يقترن بها تغير في عقلية المواطن لا تستطيع هذه المنظمات أن تحققه بوسائلها المحدودة. إنه تغير يجب أن تتكفل الدولة بقسط وافر منه في نواح

متعددة. كانوا يقولون إن أعز العرب هو همام بن مرة بن ذهل بن شيبان، لأنه أب لعشرة وعم لعشرة وخال لعشرة.

ذلك زمن كانت المنعة فيه للكثرة، ومن المؤسف أن آباء كثيرين في بلادنا، ولعلهم الغالبية من الآباء في بعض مناطقنا، لا يزالون يحملون عقلية زمن همام بن مرة بن ذهل بن شيبان. لا يزالون يرون المنعة في الكثرة من الأبناء، وتوافقهم نساؤهم على ذلك، فيحرصن على متابعة الحمل والولادة. لا تتغير هذه العقلية إلا حين تثبت الدولة لمواطنيها أن المنعة والعزة ليست بغير القانون، ولا قوة إلا بتطبيقه في حزم وعدل.

تروني انسقت أمامكم إلى مدخل وعظ وإرشاد لا أحب في العادة دخوله. اسمحوا لي أن أعود إلى كاتماندو التي بدأت منها مسيرتي في حديثي إليكم هذه الليلة.

كانت زيارتنا لمعبد سويامبوناث المشرف على كاتماندو قبل المغيب. حول المعبد، وفي قمته البرج الذي تطل منه أعين بوذا الثمان، ترقب العالم أو تحنو عليه من الجهات الأربع، رأينا جماعات من القرود تتراقص وتتصايح، قافزة من جذع إلى آخر بين أشجار الغابة التي ينتصب المعبد في وسطها. قيل لنا إن قرود هذا المكان مقدسة، بل لعلها آلهة أيضاً أو أن آلهة تقمصت فيها، وأن تراقصها وصراخها يشتدان في هذه الساعة، حين تميل الشمس إلى الانحدار وراء الجانب الغربي من سلاسل جبال هيملايا.

وفي العودة من المعبد إلى فندقنا كان الحديث يدور على تلك القرود وقداستها. قالت سيدة من رفيقات الرحلة: أي بلاد هذه؟ وأي بشر هؤلاء؟ سعاديهم أنصاف أرباب، وبقرهم مقدس لا يمس، وإلهتهم طفلة تلعب بالدمى.. ثم هم يأكلون

لحم الكلاب، وتدخين الحشيش عندهم مثل شرب الماء! أليس لهم عقول يفكرون بها، ويميزون بها بين الفاسد والصحيح؟.

رفعت السيدة بهذا الكلام صوتها ليسمعه رفاقها في ضجيج السيارة الكبيرة التي تقلنا. وفي الوقت نفسه كان سائق السيارة النيبالي يتحدث بصوت مرتفع ليسمع مرافقه.

قلت أنا لتلك السيدة: أتدرين بماذا يحدث السائق صاحبه؟

سألتني: بماذا؟ قلت: يتحدث عنا نحن السائحين الآتين من الغرب، غرب بلاده، ويقول لرفيقه: انظر لسقم تفكير هؤلاء الغرباء.. تراهم يعلقون في أعناق نسائهم تمائم غريبة يؤمنون بقداستها، بعضهم يعلق علبة من الذهب منقوشة بحروف غريبة وبعضهم يعلق صلباناً مذهبة.. ماذا يفيدهم تجميد هذه الثروات على صدور النساء؟ أولى لهم أن يشتروا بهذا الذهب خبزاً يأكلونه أو حشيشاً يستمتعون بتدخينه..

سمعت أنهم يعيبون علينا أكل لحم الكلاب.. اسألهم هل جرب أحدهم لحم كلب فوجده أسوأ من لحمهم الذي يأكلونه، لحم العجل أو لحم الخروف؟.

بهتت مخاطبتي وقالت مستغربة: أهو تكلم بكل هذا؟ ثم منذ متى تعلمت أنت لغة النيبال لتفهم كلامه؟

ضحكتُ وقلت: الصحيح إني لا أعرف كلمة من النيبالية، ولا أظن السائق ومرافقه تبادلا لفظة من هذا الذي قلته، إلا أنهما جديران بأن يردا عليك بمثل معناه لو أدركا ما أخذته أنت على قومهما. لكل شعب عيوبه في الإيمان والتفكير والسلوك.

وإذا كان البشر في غابر الأزمان قد قدسوا الزواحف والطيور وذوات الأربع، فبشر اليوم ليسوا أحسن منهم، ألا تعرفين الكثيرين ممن يحنون رؤوسهم بكل إجلال لآدميين، وما الآدميون غير حيوانات تمشي على رجلين، مقدسين لهم تقديساً يقرب من العبادة؟ وعن عبادة القرود والتخضع لها، ألما سمعت بقرد زبيدة؟ قالت السيدة: قرد زبيدة؟ أي صنف من القرود هذا؟.

لم أجب رفيقة الرحلة على استفهامها. كنا قد بلغنا في هذه الأثناء فندقنا في كاتماندو، فندق سوالتي أوبروي، فانشغلت عن إجابتها بزحام النزول من السيارة، وبهذا وفرت على نفسي آنذاك رواية حكاية قرد زبيدة بنت جعفر بن المنصور، زوجة هارون الرشيد، وكيف قطع يزيد بن مزيد الشيباني يد ذلك القرد، كما وفرت عليكم سماع تلك الحكاية الطويلة، بعد أن صبرتم كل الصبر على حديثي لكم هذه الأمسية.

فشكراً لاستماعكم، والسلام عليكم.

تدريبات

س-1 وازن بين المحاضرتين السابقتين من حيث الأسلوب، وطريقة البناء ومنهج الكتابة.

س-2 تعتمد المحاضرة الثقافية غير الأكاديمية على التجارب الشخصية والمشاهدات العيانية، مما يؤثر على إقناع القارئ، وتستند المحاضرة الأكاديمية غالباً على المعلومة الموثقة، اذكر أمثلة تؤكد ذلك.

س-3 اذكر نصوصاً مترجمة مرادفة لبحيرة لامارتين.... شكلت حضوراً ملفتاً في الأدب العربي.

س-4 ما الفرق بين الترجمة الشعرية والنثرية؟ وما الفرق بين لغة النصين؟

س-5 ما موضوع محاضرة العجيلي؟ وهل قال ما قاله بطريقة مباشرة أم بطريقة غير مباشرة؟

س-6 أيهما أكثر أثراً في المتلقي المحاضرة الأكاديمية المباشرة، أم المحاضرة الثقافية؟

س- 7 على مستوى المتعة والتشويق أيهما أكثر أثراً، وما هي العوامل؟

س-8 اقترح مناظر محددة لشرائح مناسبة في حال قُدّمت المحاضرتان عبر الشرائح الضوئية (powr point).

س-9 تشير بعض الدراسات العلمية إلى أن تركيز المتلقي حول موضوع محدد يستمع إليه يبدأ بالتشتت بعد مرور نصف ساعة... في ضوء تجربتك... هل يختلف ذلك من شخص إلى آخر، وما هي المؤثرات التي يقدمها المحاضر للفت انتباه الجمهور.

س-10 حاول العجيلي الإشارة في محاضرته إلى أن بعض الأفكار في الحياة تقبل أكثر من وجهة نظر... اذكر مثالاً من النص.

س- 11 هل من علاقة بين المكان الذي تقدّم فيه المحاضرة، وموضوعها؟

س-12 هل المعلومات التي تقدّم في المحاضرة ارتباط بالزمان، بحيث تفقد قيمتها بعد مرور فترة من الزمان؟

س-13 أكد العجيلي فكرة التوازن في الطبيعة وضرورته في الحياة وذكر عدداً من الأمثلة... اذكر مثالاً يؤكد ذلك.

س- 14 ما دور المناسبة في كتابة نص البحيرة لـ (لامارتين)؟

س- 15 ما هي أسباب ترجمة نص البحيرة أكثر من مرة، وفي أكثر من بلد... وشعرا ونثرا؟

س- 16 يقول محمد زكريا عناني عن ترجمة الزيات (يحرص الزيات في ترجمته على الصياغة أكثر مما يحرص على أن تأتي ترجمته حرفية، وهو من أجل هذه الصياغة يحذف أو يضيف أو يعدل من الصورة الأصلية). ما الفرق بين الترجمة التي تركز على الصياغة والترجمة التي تركز على الدلالات الحرفية.

س-17 يلحظ أن المحاضر عناني كان محيطاً بكل الترجمات التي قدمت للبحيرة... ماذا يدل ذلك؟ بالموازنة مع محاضرة العجيلي التي حملت إشارات مهمة إلى تجاربه الشخصية فيما قدمه.

س-18 يقول عناني عن ترجمة محمد سعيد أولاية (ويبدو جلياً حرص صاحب الترجمة على محاذاة الأصل، وهو حرص قاد إلى الوقوع في حبائل النثرية كما في جمل مثل «وتسوى نهاية الأعمار» أو «كان ينبغي أن نجيء كلانا»...). هل من الضرورة أن تحاذي الترجمة الأصل أم يكفي أن تنقل روح المعنى، أم أن ذلك يتبع لطبيعة النص والمراد من الترجمة؟

س-19 يقول عناني (وإذا كان هذا البحث قد طال وتشعبت مناحيه فينبغي أن نضيف إليه وقفة أخيرة قصيرة بإزاء ما أسميناه بالترجمات المجهولة أو شبه المجهولة،). ما الفرق بين البحث والمحاضرة؟ وهل يمكن إلقاء البحث المعد للقراءة ليُلقى مشافهة على الجمهور؟

س-20 يوازن العجيلي بين نسبة النمو السكاني في سورية وفرنسا منذ مطلع الخمسينات إلى مطلع الثمانينات حيث يذكر أرقاماً تثبت أن الفرنسيين تناموا بنسبة نحو 28 بالمئة، وفي سورية 300 بالمئة... ما دلالة ذلك؟ وهل تستطيع خطط التنمية في سورية أن تواكب تلك الزيادة؟

وقل رب زدني علما
جامعة دمشق
Damascus University

كلمة د.كمال حمدان[6]/ في افتتاح ندوة اقتصادية[7]

بعنوان: دور الاقتصاد العربي في التخلف القومي والقطري[8]

أبدأ هذه الندوة بالإشارة إلى أنه عندما نتناول موضوع تجديد الفكر العربي يجب أن نميز بين الآمال والطموحات والرغبات من جهة وبين الواقع الموضوعي، واحتمالاته من جهة أخرى.

في المضمار الاقتصادي الأسئلة والتحديات شائكة جداً، وهي معقدة لأنها ترتبط بمصالح اجتماعية وسياسية لفئات مختلفة هي جزء من التكوين المجتمعي في منطقتنا، وبالتالي لا تحسم المسائل بالنوايا وبالأخلاق وبالمواعظ، هناك شبكة من المصالح وربما هناك ملاحظة ثانية هي أنه انطلاقاً من عنوان البحث (دور الاقتصاد العربي في التخلف القومي والقطري) كأنني فهمته أنه يعطي للاقتصاد دوراً مُحدداً أو مُحَدداً في تخلف الأمة العربية، وأكاد أضيف أن العلاقة المعكوسة أيضاً تبقى قابلة للنقاش؛ أي أن التخلف الاقتصادي في جوانب عدة منه هو نتاج للتخلف القومي والقطري، إذاً المسألة هي ذات تأثيرات متبادلة، وطرفا المعادلة يؤثران بعضهما بالبعض الآخر. وتحضرني هنا ثلاث نقاط أساسية قبل أن أعطي الكلام للمحاضرين: استنتاج أول أن النموذج العربي/ من يراجع لوحة المؤشرات بالاقتصادية الأساسية من نصف قرن إلى الآن أي منذ عام 1950 هناك (10) إلى (12) مؤشراً/ يختزل مجمل جوانب النشاط الاقتصادي في دولة ما أو في مجال (جيوسياسي) ما بالتصنيفات الدولية إذا عملنا هذا التمرين؛ نلاحظ أنه كمرجع

---

[6] – خبير في قضايا الاقتصاد والطاقة، ومدير مؤسسة البحوث والاستشارات في العاصمة اللبنانية بيروت.

[7] – ألقيت في مؤتمر بعنوان تجديد الفكر القومي والمصير العربي، دمشق، نيسان، 2008.

[8] – المحاضران:الأستاذ سمير سعيفان (سورية) الدكتور محمود عبد الفضيل (مصر).

أساس سنة 1950 بعيد الموجة الاستقلالية في غير بلد من بلدان المنطقة خلال نصف قرن هذا الوزن النسبي للعالم العربي (الاقتصادي) قد مال بشكل عام للتراجع في المقارنات الدولية أي عندما نقارن محصلة تلك المؤشرات في الكتل الأساسية الأخرى من العالم النامي ولا أتحدث عن أوروبا الغربية أو أمريكا أو اليابان بل أتحدث عن التشكيلات المعتمدة دولياً من شرق آسيا وأمريكا اللاتينية ودول قارات أخرى في تصنيفات دولية تعتمدها (5) إلى (6) كتل في العالم النامي نلاحظ أن **الوزن الاقتصادي للعالم العربي النسبي قد مال بشكل عام إلى** الانخفاض.

ومن هذه المؤشرات متوسط نصيب الفرد من الناتج المحلي، ومعدل الاستثمار من الناتج وبنية الاستثمار، لأنه من بنية استثمار إلى أخرى هناك تبعات مختلفة على النمو والتنمية؛ بنية التجارة الخارجية هل تصور أحد أن يقوم بمقارنة بنية صادراتنا ومستوردانتا كبلدان عربية، كل واحدة على حدة أو جميعنا مجتمعين مع التجارة الخارجية لبلد مثل إسرائيل، هنا يظهر الخلل الأساسي في عدم امتلاكنا لقيم أساسية لجهة التكنولوجيا والاستثمار في الموارد البشرية العالية التأهيل والأجور.. معظم اقتصاداتنا تقوم على أساس الاستثمار في الأجر الرخيص، وفي عدم وجود ضمانات اجتماعية كافية، وغير ذلك وأكتفي فقط برزمة هذه المؤشرات.

ولا أخفي عليكم أن البعض من المثقفين منكبون على دراسة النفط كثروة وصلوا إلى استنتاج أن جزءاً من شروط تحرر هذه الأمة وتجديد مقوماتها هو تدمير النفط (ليس على طريقة (بن لادن))؛ بل تدميره كرز وكمجموعة نظم وقيم قائمة على الريع، وطُرح هذا بأكثر من ندوة في أوروبا، وأنا شاركت بها وفي بلدان عربية مختلفة أن هذا الميل المتراجع بالنسبة للاقتصاد العربي يتزامن مع بروز النفط واكتشافاته وتحوله إلى رافعة للاقتصاد الريعي.

إن واقع العالم العربي يتميز بكل التصنيفات الدولية وتصنف الواقع العربي على (3) مستويات، الأولى هي الفئة المستوردة للعمالة والغنية بالموارد مثل بلدان الخليج، والثانية هي الكثيفة ديموغرافياً والغنية بالموارد أيضاً مثل العراق والجزائر وربما إيران من خارج المنطقة، والفئة الثالثة هي الضعيفة الموارد والكثيفة ديموغرافياً مثل مصر، اليمن، سورية، المغرب، لبنان، الأردن، والمفارقة أن من يتابع أثر صدمات النفط الثلاث (1973، 1979،2002) ويأخذ ما يسمى بالناتج المحلي العربي يلاحظ أن الفئة الأولى من هذه البلدان مثل الخليج أصبحت تقتطع لنفسها حوالي (52%) من الناتج المحلي العربي المجمع مقارنة بحوالي النصف قبل (30) سنة أي بين عام (1973) وعام (2002) وهذا الاقتطاع المتزايد تم على حساب الفئة الثانية من البلدان، فالعالم العربي الذي يوفر الآن خُمُس إنتاج العالم من النفط سوف يكون مطالباً بأضعاف مضاعفة وهذه الزيادة ستكون مطالبة أن تأتي من دول المنطقة العربية.

السؤال: إذا كان ذلك كذلك هل نستطيع أن نتصور حجم التدفقات المالية والموارد والتكنولوجيات بين بلدان الفئة الأولى ومراكز الاستهلاك العالمية... أمريكا... وأوروبا.. والصين والهند... هل نتصور متطلبات حجم الاستثمار بهذه البلدان كي يرفعوا إنتاجهم من (20%) من الإنتاج العالمي إلى (40%) من حيث شبكات البنى التحتية ومشاريع الطاقة وتحلية المياه والحفر والتأمين، وكل هذا الحديث مرتبط بأنه إذا كان تطور الواقع الموضوعي ذاهباً بهذا الاتجاه؛ إلى أي حد نستطيع أن نبقى نتحدث عن مفهومنا للتضامن العربي والوحدة العربية بمفاهيم الخمسينيات... فالعالم يتغير، يعني إذاً هناك احتمال أن تصبح درجة العلاقة المتبادلة هائلة بين مجموعة من البلدان والكتل العالمية المسيطرة إلى أن ينطوي عليها فقط تعميق وتطوير لأشكال التبعية المتبادلة، والبعض يقول التبعية، وأن

تطلع بالتالي هذه الفئة من البلدان بدور القاطرة التي تستتبع الدائرة الثانية والثالثة من البلدان.

يجب على دول الفئة الأولى والثانية القيام بإصلاحات اقتصادية ومناخ استثمار وتوظيف لموارد بشرية عالية التأهيل وثورة بنوعية التعليم وضمانات اجتماعية وعدم الاكتفاء بنموذج استثمار يقوم بتوظيف العمالة الرخيصة، وما يظهر في الأفق هو استمرار النمط الأول السائد.. وأعتذر للإطالة، ولكن نحن اللبنانيين معروفون أننا نتمسك بالكرسي ولا نتركه أو نتحرك عنه وهذا ما يفسر أن الكرسي الرئاسي لا تزال شاغرة منذ (5) أشهر.

والآن معنا في الجلسة زميلان عزيزان وكل له باع طويلة في علم الاقتصاد هم د. محمود عبد الفضيل، وأ. سمير سعيفان، وسوف يبدأ الأستاذ سمير سعيفان الاقتصادي السوري اللامع الذي نشر الكثير في دوريات عربية وأجنبية، وربما من خصوصيات المنافع التي يتميز بها الأستاذ سمير أنه يأتي من القطاع الخاص... يعني أقرب إلى فهم الموضوع من زاوية نظر المصالح... والابتعاد قليلاً عن الأيديولوجيا بمعناها السلبي لأنها شيء ضروري وعلمي ولكن أحياناً تصبح دوراناً دائماً مثل حلقات الدراويش.

كلمة
في ندوة قضية المصطلح العلمي وموقعه في نطاق تعريب التعليم العالي[9]

د.شاكر الفحام[10]

(1)

عُرفت اللغة العربية بسعتها وتراثها، وما تملك من وسائل النمو والتطور بالاشتقاق والمجاز والنحت والتعريب وأمثالها. واستطاعت بفضل ذلك أن تستوعب الثقافات والعلوم حين قام النَّقَلَةُ والمترجمون في عصور الإسلام الأولى بترجمة كتب اليونان والفرس والهند وغيرها إلى العربية[11]، وأصبحت اللغةُ العربيةُ حينذاك ولمدة عدة قرون لغةَ العلم والمعرفة التي يصطنعها العلماءُ والمؤلفون في جميع الأقطار الممتدة من الأندلس غرباً حتى أقصى بلاد ما وراء النهر شرقاً، وصحَّ وصفُها بأنها لغةُ العالَم المتحضر[12] وإن التراث العلمي العربي، بخصبه وتنوعه وغزارته وكثرة مبتكراته، لشاهدٌ حيٌّ على قدرة العقل العربي على الإبداع والإضافة والمشاركة الجادة في مسيرة الإنسانية العلمية والتكنولوجية، أخذ منها ثم أعطاها الكثير الكثير مما عمَّ نفعهُ العالَمَ بأسره؛ وهو، إلى ذلك، شاهدٌ عدلٌ ينطق بقدرة اللسان العربيّ وطواعيته لاستيعاب أنواع العلوم والمعارف، ودليلٌ مبينٌ يفصح عن كفايته في التعبير عن أدق المعاني وأجلّها على حدّ سواء. يقول أبو

---

9 - القيت الكلمة في ندوة تعليم اللغة العربية في الجامعات العربية التي عقدت في رحاب جامعة الجزائر (7 - 9 نيسان 1984م)، انظر مجمع اللغة العربية بدمشق، مج59: 656 - 661.

10 - الدكتور شاكر الفحام (1921-2008) باحث وأكاديمي سوري عمل في الأدب والسياسة والسلك الدبلوماسي، كما يعتبر من الباحثين الموسوعيين الذين بذلوا حياتهم في خدمة اللغة العربية وآدابها. تولى مناصب عدة هامة منها وزير التربية ووزير التعليم ورئيس جامعة دمشق ورئيس مجمع اللغة العربية بدمشق، له عدد من المقالات والدراسات منها القطوف الدانية صدر عام2007

11 انظر مثلاً كتاب: المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث للأمير مصطفى الشهابي (دمشق 1965م): 20 - 28، وكتاب: دراسات في اللغة لمحمد الخضر حسين (دمشق 1975م): 5 - 16.

12 - د. محيي الدين صابر - المجلة العربية للثقافة: ع5، ص11.

والمترجمة، دع عنك الكتب المدرسية التعليمية. وما تزال خزائن الكتب في مصر وبلاد الشام وما وراءهما تضمُّ في رفوفها مجموعة قيمة من نتاج تلك الأيام تحمل بشائر الأمل باستجابة اللسان العربي لمطالب النهضة، وقدرته على استيعاب العلوم، والتعبير عن دقائقها، وإيجاده المصطلح العلمي الملائم الذي يقابل اللفظ الأعجمي[17].

(4)

ولكن النهضة العلمية العربية لم يُقدر لها أن تمضي إلى غايتها، وتحقق أغراضها في اللحاق بالركب الحضاري العالمي، فقد قطع الطريق عليها تلك الهجمةُ الاستعماريةُ الشرسةُ التي اغتصبت الأرضَ العربية، وبسطت على الأمة العربية سيطرتها، ووقفت سداً منيعاً بين العرب وبين ما كانوا يتشوفون له ويتطلعون إليه من الأخذ بأسباب الحضارة، ومتابعة التقدم العلمي، والصعود في مدارج الرقيّ، وحرمتهم كل حق من حقوقهم، ودفعت الناس عن العلم، ومنعتهم ورود مناهله العذبة إلا في الحدود التي رسمتها، وفرضت عليهم سياسة التجهيل والفقر، وبلغ بها الأمر أن حرّمت تعليم اللغة العربية، أو حجرتها في نطاق ضيق لا تعدوه، متربصة بها الدوائر، وأحلّت محلها لغاتها لتكون أداة التعليم والتفاهم في المدارس، وحالت بين الأمة وبين تراثها وماضيها لتبتّ تلك الوشيجة، وتفصم عرى الصلات الوثيقة، قد وضعت خططها الآثمة لتسلب الأمة العربية أرضها وثروتها، ولتطمس شخصيتها المتميزة، وتعفّي على تراثها وحضارتها.

وإن الخسارة التي مُنينا بها في التوقف عن متابعة النهج الذي اختطه رواد النهضة في نشر العلم وفي التعريب والنقل لخسارةٌ بالغة: أخّرت دخولنا ميدان البحث العلمي والتقني، وأبعدت اللغة العربية عن المشاركة الجادة في قطاع العلوم

[17] المصطلحات العلمية في اللغة العربية للشهابي: 42 - 52 المعجمات الطبية وتوحيد المصطلح الطبي للدكتور حسني سبح - مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق: مج59، ص229 - 234.

كلمة

في ندوة قضية المصطلح العلمي وموقعه في نطاق تعريب التعليم العالي[9]

د.شاكر الفحام[10]

(1)

عُرفت اللغة العربية بسعتها وتراثها، وما تملك من وسائل النمو والتطور بالاشتقاق والمجاز والنحت والتعريب وأمثالها. واستطاعت بفضل ذلك أن تستوعب الثقافات والعلوم حين قام النَّقَلَةُ والمترجمون في عصور الإسلام الأولى بترجمة كتب اليونان والفرس والهند وغيرها إلى العربية[11]، وأصبحت اللغةُ العربيةُ حينذاك ولمدة عدة قرون لغةَ العلم والمعرفة التي يصطنعها العلماءُ والمؤلفون في جميع الأقطار الممتدة من الأندلس غرباً حتى أقصى بلاد ما وراء النهر شرقاً، وصحَّ وصفُها بأنها لغةُ العالَمِ المتحضر[12] وإن التراث العلمي العربي، بخصبه وتنوعه وغزارته وكثرة مبتكراته، لشاهدٌ حيٌّ على قدرة العقل العربي على الإبداع والإضافة والمشاركة الجادة في مسيرة الإنسانية العلمية والتكنولوجية، أخذ منها ثم أعطاها الكثير الكثير مما عمَّ نفعهُ العالَمَ بأسره؛ وهو، إلى ذلك، شاهدٌ عدلٌ ينطق بقدرة اللسان العربيّ وطواعيته لاستيعاب أنواع العلوم والمعارف، ودليلٌ مبينٌ يفصح عن كفايته في التعبير عن أدق المعاني وأجلّها على حدّ سواء. يقول أبو

---

[9] ـ ألقيت الكلمة في ندوة تعليم اللغة العربية في الجامعات العربية التي عقدت في رحاب جامعة الجزائر (7 ـ 9 نيسان 1984م)، انظر مجمع اللغة العربية بدمشق، مج59: 656 - 661.

[10] ـ الدكتور شاكر الفحام (1921-2008) باحث وأكاديمي سوري عمل في الأدب والسياسة والسلك الدبلوماسي، كما يعتبر من الباحثين الموسوعيين الذين بذلوا حياتهم في خدمة اللغة العربية وآدابها. تولى مناصب عدة هامة منها وزير التربية ووزير التعليم ورئيس جامعة دمشق ورئيس مجمع اللغة العربية بدمشق، له عدد من المقالات والدراسات منها القطوف الدانية صدر عام2007.

[11] انظر مثلاً كتاب: المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث للأمير مصطفى الشهابي (دمشق 1965م): 20 - 28، وكتاب: دراسات في اللغة لمحمد الخضر حسين (دمشق 1975م): 5 - 16.

[12] ـ د. محيي الدين صابر ـ المجلة العربية للثقافة: ع5، ص11.

والمترجمة، دع عنك الكتب المدرسية التعليمية. وما تزال خزائن الكتب في مصر وبلاد الشام وما وراءهما تضمُّ في رفوفها مجموعة قيمة من نتاج تلك الأيام تحمل بشائر الأمل باستجابة اللسان العربي لمطالب النهضة، وقدرته على استيعاب العلوم، والتعبير عن دقائقها، وإيجاده المصطلح العلمي الملائم الذي يقابل اللفظ الأعجمي[17].

(4)

ولكن النهضة العلمية العربية لم يُقدر لها أن تمضي إلى غايتها، وتحقق أغراضها في اللحاق بالركب الحضاري العالمي، فقد قطع الطريق عليها تلك الهجمةُ الاستعماريةُ الشرسةُ التي اغتصبت الأرضَ العربية، وبسطت على الأمة العربية سيطرتها، ووقفت سدّاً منيعاً بين العرب وبين ما كانوا يتشوفون له ويتطلعون إليه من الأخذ بأسباب الحضارة، ومتابعة التقدم العلمي، والصعود في مدارج الرقيّ، وحرمتهم كل حق من حقوقهم، ودفعت الناس عن العلم، ومنعتهم ورود مناهله العذبة إلا في الحدود التي رسمتها، وفرضت عليهم سياسة التجهيل والفقر، وبلغ بها الأمر أن حرّمت تعليم اللغة العربية، أو حجرتها في نطاق ضيق لا تعدوه، متربصة بها الدوائر، وأحلّت محلها لغاتها لتكون أداة التعليم والتفاهم في المدارس، وحالت بين الأمة وبين تراثها وماضيها لتبتّ تلك الوشيجة، وتقصم عرى الصلات الوثيقة، قد وضعت خططها الآثمة لتسلب الأمة العربية أرضها وثروتها، ولتطمس شخصيتها المتميزة، وتعفّي على تراثها وحضارتها.

وإن الخسارة التي مُنينا بها في التوقف عن متابعة النهج الذي اختطه رواد النهضة في نشر العلم وفي التعريب والنقل لخسارةٌ بالغة: أخّرت دخولنا ميدان البحث العلمي والتقني، وأبعدت اللغة العربية عن المشاركة الجادة في قطاع العلوم

---

[17] المصطلحات العلمية في اللغة العربية للشهابي: 42 - 52 المعجمات الطبية وتوحيد المصطلح الطبي للدكتور حسني سبح - مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق: مج59، ص229 - 234.

الحديثة في وقت مبكر، وكانت سبب هذا الترجح والتردد الذي نعاني منه في التعليم العالي بين التعريب والتعليم باللغة الأجنبية.

(5)

إن تعريب التعليم العالي ضرورة لا بد منها لترسيخ العلم العربي ونشره وبثّه في المجتمع[18]، ولجعل اللسان العربي أداة التعبير العلمية العصرية، فيعيش الحياة اليومية والحياة العلمية والثقافية، ويتجدد ويتطور وينمو، فاللغة لها الشأن الأول في أصالة الثقافة القومية، ولن يكون لها مثلُ هذه المكانة إلا إذا كانت هي التي تعبّر عن أسمى ما وصل إليه الإنسانُ فكراً وفناً وعلماً، وأسمى ما يمكن أن يصل إليه، ولا يجوز صرف اللغة عن حقيقة مهمتها وهي معايشة الحضارة ومواكبتها[19].

ثم إن للغة العربية مزية لا تكاد توازيها فيها لغة أخرى هي في هذا الامتداد في الزمان، فالعربيُّ يملك تراثاً واسعاً في الموروث الثقافي يتصل به الاتصال الحيَّ المباشر من أيام الجاهلية حتى العصر الحاضر، ولديه حصيلة كبيرة من المصطلح العلمي مما فاضت به كتب التراث العلمي العربي في عصور العربية الزاهرة. ولا ننسى أيضاً ما للسان العربي من شأن كبير في وحدة الأمة العربية وتماسكها، وفي مواجهتها الاستعمار ومحاولاته الرامية إلى تفتيتها[20]. وإن كل عزل للغة، أو إبعاد لها عن ميدان من ميادين العلم والمعرفة فيه إضعاف لشخصية الأمة الثقافية وكيانها الحضاري.

---

[18] د. عبد الكريم اليافي - مجلة التراث العربي بدمشق: ع13 - 14، ص219 - 220.

[19] د. إحسان عباس - مجلة المستقبل العربي: ع25، ص10، د. عبد العزيز العاشوري - مجلة المستقبل العربي: ع27، ص7، مج لة الفكر العربي، ع14، ص203 - 204.

[20] د. محيي الدين صابر - مجلة المستقبل العربي: ع36، ص74 - 75، د. ياسين خليل - مجلة المستقبل العربي: ع59، 1984/1، ص45 - 67، د. عمار بوحوش - المستقبل العربي: ع35، 1982/1، ص127.

اللغة إنما هي وسيلة البيان والإفصاح بين المخاطبين، وسبيل التواصل والتوحيد في المجتمع، فإذا ضعفت أو انحرفت عن مقصدها، أدّت إلى الفوضى والجهل وما يستتبعهما من كوارث قد تصل إلى حدّ التناكر بين أفراد المجتمع العربي الواحد. وإننا لنرجو أن يتاح لندوتنا هذه أن تبسط أسباب هذا الضعف، وأن تتبين العوامل المعوّقة، وأن تقدم من المقترحات والتوصيات ما يسمح بتعلم اللغة تعلماً يجعلها ملكة صناعية، وصفة راسخة على حدّ تعبير ابن خلدون[23].

إن اهتمام الندوة باللغة العربية وطرق تعلمها وتيسير سبلها للناشئة لتصبح لهم ملكة وسليقة إنما هو بوجه من الوجوه وثيقُ الصلة بتعريب التعليم العالي، فالندوةُ في بحثها هذا الموضوع وتصديها له لم تخرج بعدُ عن الموضوع الأساسي وهو التعريب، بل هي تعمل له بطريق غير مباشر، وتهيئ له في دائرة أوسع وأشمل، لأنها تتناول الناشئة العربية واللغة العربية ومستقبلها الواعد المرتقب.

(8)

وإذا كانت الندوةُ قد قصدت إلى موضوعات بأعيانها في تعليم اللغة العربية لدراستها ومعالجة مشكلاتها، وتهيئة المقترحات والتوصيات التي تيسّر سبل تعلّمها، وتنهض بمستواها، وتعمل على تبسيطها إلى الطلاب والناشئة العربية، فقد بدا لي أن بعضاً منها يلامس حقاً طريقة تنفيذ التعريب في الجامعات، وكأنه الخطوة الأولى العملية في هذا السبيل. ويأتي على رأس تلك الموضوعات ما تضمنته الفقرة الخامسة عشرة من بحث «الوسائل العلمية لجعل الفصحى لغة العلم بفروعه المختلفة»، وما نصت عليه الفقرة السادسة عشرة من بحث «المصطلحات العلمية» وإني أقف نفسي عند حدود المصطلح أتبين موقعه في نطاق التعريب.

من الحق أن أولَى العقبات التي نواجهها ونحن ننهض بتعريب التعليم أن نجد المصطلح الملائم للكلمات الأجنبية العلمية والفنية، وقد بيّنتُ في مطلع كلمتي

[23] مقدمة ابن خلدون (القاهرة 1930م): 489.

أن رواد النهضة الحديثة قد واجهوا هذه العقبة بما ينبغي لها، وأنهم نهضوا بعبء التعريب بكفاية ومقدرة، ثم بذل العلماء العرب: المؤلفون والمترجمون، من بعدهم جهوداً كبيرة في هذا الباب، وقدّموا آلاف المصطلحات في شتى العلوم والمعارف. ولم تكن مشكلة المصطلح العلمي في يوم من الأيام عائقاً يحول دون التعريب، ولكن المشكلة الأساسية التي كانت وما تزال هي في عزوف الجامعات ومراكز التعليم العالي والبحث العلمي عن اصطناع العربية لغة علم وتعليم، وبالتالي إهمال هذه المصطلحات التي جدَّ واجتهد في طلبها ووضعها العلماءُ لتظلَّ حبيسة الكتب والأدراج، منسيةً، لا يأبه لها أحد.

وإذ كنا نستشعر اليوم إحساساً جديداً وتفاؤلاً عميقاً، وإيماناً لا حدود له بوجوب تعريب التعليم الجامعي، وبضرورته العلمية والثقافية والقومية، ونعمل جميعاً جاهدين لإنجاحه، وتهيئة الظروف المناسبة وتوفير الشروط الملائمة لنمضي فيه بخطا مطمئنة واثقة، فإني أقدم في السطور التالية نتائج ما انتهى إليه العلماء والباحثون العرب في قضية المصطلح العلمي وطريقة وضعه، والصفات التي يحسن أن يتحلى بها واضعه، وبيان الوسائل الكفيلة بتوحيده.

إن التجربة الطويلة التي مارسها العلماء العرب في اختيار المصطلح، وتقصيهم أساليب النَّقلة الأوائل التي نهجوها في التعريب قد انتهت بهم إلى تأصيل قواعد رأوا ضرورة الالتزام بها في وضع المصطلح العلمي، وها هي ذي أبرز القواعد التي عدَّدوها ليُهتَدى بها في وضع المصطلح[24]:

1 ــ وجود مناسبة بين مدلول المصطلح اللغوي ومدلوله الاصطلاحي.

---

[24] المصطلحات العلمية في اللغة العربية للشهابي: 18 - 20، 26، 75، 93 - 94، مجلة مجمع اللغة العربية الملكي (القاهرة 1935م) 1: 37، دراسات في العربية وتاريخها لمحمد الخضر حسين (دمشق 1960م): 2228 - 2389، ندوة توحيد منهجيات وضع المصطلحات العلمية الجديدة - الرباط/ شباط 1981، التعريب وتنسيقه في الوطن العربي للدكتور محمد المنجي الصيادي (بيروت 1980م): 36 - 91.

2 ــ تحرّي لفظ عربيّ يؤدي معنى اللفظ الأعجمي، ويقتضي ذلك الاطلاع على الألفاظ العلمية المبثوثة في المعجمات العربية، وفي مختلف كتب التراث العلمية.

3 ــ اللفظ الأعجمي الجديد الذي ليس له مقابل في اللغة العربية، فإما:

1 ــ أن نترجمه إذا كان ذلك ممكناً.

2 ــ أو أن نضع له لفظاً عربياً مقارباً بطريق الاشتقاق أو المجاز أو النحت.

3 ــ أو نعرّبه.

4 ــ تفضيل اللفظ العربي على اللفظ المعرب القديم، إلا إذا اشتهر المعرّب.

5 ــ تفضيل الاصطلاحات العربية القديمة على الجديدة، إلا إذا شاعت.

6 ــ تفضيل الكلمة الواحدة على كلمتين أو أكثر إذا أمكن ذلك.

7 ــ الترجمة الحرفية إذا لم نجد كلمة واحدة.

8 ــ الاقتصار على اسم واحد للمعنى العلمي الواحد في المجال الواحد.

9 ــ تفضيل الكلمة التّي تسمح بالاشتقاق على الكلمة التي لا تسمح به.

10 ــ قبول اللفظ المولّد السائغ.

وقد أغنى العلماء والمجامعُ اللغوية هذه القواعد حين بسطوا القول لتفصيل ما أجملوا، فتحدثوا عن الاشتقاق والصيغ في العربية ومعانيها ودلالاتها، وما يحسن القياسُ عليه منها للتعبير عن المستحدثات الجديدة، وذكروا المجاز وطريق اصطناعه، وتناولوا النحت والتعريب وحدود استعمالها، ومضوا يشرحون هذه القواعد الأساسية التي أصّلوها، ويضربون لها الأمثلة الموضحة من كلام العرب، وكتب اللغويين والنحاة، لتستبين الطريق لمن يريد الإفادة منها، والسير على منوالها.

وإذا كانت هذه القواعد وما لابسها من شروح وتفصيلات قد قدمت بين يدي من يضطلع بوضع المصطلح دليلاً يسترشد به، فإن من أبرز الصفات التي يجب أن يتحلّى بها واضعُ المصطلح، إلى جانب الموهبة والكفاية، التمكّن من العلم الذي

يضع مصطلحاته، وإتقانه اللغة المنقول منها، والتمكُّنَ من معرفة اللغة العربية معرفةً تقفه على أسرارها وعلى ما حوته كتبها ومعجماتها، ولا سيما الكتب العربية القديمة التي تناولت العلم الذي يعالج وضع مصطلحاته[25].

وقد أولَى الأمير مصطفى الشهابي موضوع المصطلحات العلمية عناية خاصة، فأفرده بكتاب مستقل هو كتاب «المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث» (دمشق 1965م)، تناول فيه طريقة العرب التي نهجوها في وضع المصطلح، ثم عرض لمختلف الجوانب التي يجب مراعاتها عند وضع المصطلح، وأودعه نتيجة تجربته الطويلة خلال ثلاثين عاماً أو تزيد، وانتهى إلى قناعةٍ مؤداها أنه لا بدّ أن تتولى هيئة علمية لغوية تأليف: معجم افرنسي عربي، ومعجم إنكليزي عربي، للمصطلحات العلمية والفنية والفلسفية والأدبية وألفاظ الحضارة، يشتملان على أصح الألفاظ العربية أو أرجحها، مما يُحتاج إليه في التعليم الثانوي وفي قسم من التعليم العالي على الأقل، على أن تعرّف ألفاظهما بالعربية تعريفاً علمياً مختصراً دقيقاً يناسب حجم كلٍ من المعجمين، وأن تلتزم الحكومات العربية باستعمال ألفاظ المعجمين العربية دون غيرها، في إداراتها ومحاكمها ومدارسها الرسمية والأهلية[26].

إن وضع المصطلح العلمي قد بدأ، كما أشرنا آنفاً، منذ مطالع النهضة العربية الحديثة، وشارك في وضعه الأفراد والجماعات. وفي كتاب الأستاذ الشهابي سَرْدٌ لكثير من المعجمات التي تناولت المصطلح العلمي في علم خاص،

---

[25] المصطلحات العلمية في اللغة العربية للشهابي: 92، ويقول الجاحظ: «ولا بدّ للترجمان من أن يكون أعلمَ الناس باللغة المنقولة والمنقول إليها، حتى يكون فيهما سواءً وغاية.. وإذا كان المترجم الذي قد ترجم لا يكمل لذلك أخطأ على قدر نقصانه من الكمال..» (الحيوان 1: 76 - 78). وما قاله الجاحظ في صفة الترجمان يصدق كل الصدق على واضع المصطلح.

[26] المصطلحات العلمية في اللغة العربية للشهابي: 141 - 147.

أو المصطلح عامة، والتي قام بصُنْعها الأفراد[27]. وقد زادت العناية في الأيام الأخيرة بصنع معجمات المصطلح التي ينهض بها الأفراد.

ولكن الجانب الأهم في وضع المصطلح هو العمل الجادّ الذي قامت به المجامع اللغوية العربية في مصر والشام والعراق والأردن، ويأتي في طليعتها مجمعُ القاهرة، وكذلك العملُ الذي تقوم به جامعات الجمهورية العربية السورية. وفي مقدمتها جامعة دمشق، يُضَمُّ إلى ذلك اللجانُ والجمعيات والمراكز العلمية والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ومكتب تنسيق التعريب المنبثق عنها.

إن هذه المصطلحات (بشقيها الفردي والجماعي) تشكل ثروة كبيرة لا يقدرها حق قدرها إلا العارفون بها، المطلعون عليها، والمؤسفُ أن أكثر هذه المصطلحات لم يُتح له النشرُ الواسعُ في مختلف الأوساط العلمية، وظلّ حبيس المجلدات في رفوف الخزائن، وإننا نرى، ونحن نتقدم إلى تعريب التعليم الجامعي بخطا حثيثة، أن ينهض اتحاد المجامع العربية (وبالتعاون مع اتحاد الجامعات العربية) فيكل إلى لجنة أو لجانٍ من كبار العلماء اللغويين والمختصين العلميين في المجامع والجامعات، وأضرابهم من العلماء، أن تتولى جمع كل ما صدر من مصطلحات وتنسيقها وتبويبها، لتعرضَ من بعدُ على لجنة مسؤولة مختارة من كبار المختصين المجمعيين والجامعيين، وتقرّ طبقاً لقواعد مؤصلة متفق عليها، وتُلْزَم بها جميع الجامعات والمراكز والمؤسسات العلمية والإدارية وسواها، ليعمل الاستعمال على إذاعتها، وسهولة تداولها، فاللفظُ يصقُله تناقُله على الأفواه، وقراءته مسطوراً على صفحات الكتب، ويميته أو يجعله غريباً مستنكراً إهمالهُ والعزوفُ عنه.

إن بعض الباحثين في موضوع التعريب يهولون في التحدث عن المصطلح العلمي، ويبالغون في تعداد الصعوبات التي تصادفنا في تعريبه، وأهمها هذا السيل

[27] المصطلحات العلمية للشهابي: 53 - 60.

الوافد الذي لا ينقطع من المصطلحات الجديدة، وإني لا أنكر أن وضع المصطلح أمرٌ هام وأساسي في التعريب، ولكنه ليس عائقاً يحول بيننا وبين البدء بالتعريب[28]. إني أرى أن المأساة الحقيقية في أمر المصطلح هي وجود المصطلحات التي قام بوضعها جهاتٌ علمية عدة، ولم يُتح لها أن ترى النور لأن أكثر الجامعات والمؤسسات العلمية لا تُعلّم بالعربية. وما أظن أن التعليم الجامعي في مرحلته الأولى فيه من الألفاظ الأعجمية ما يُعجز العلماء والباحثين والمجامع والمؤسسات العلمية واللغوية عن أن يجدوا المقابل الملائم، ويبدو لي أن ممارسة التعليم بالعربية، بدل التردد والتخوف، هي وحدها التي تساعدنا في تذليل ما قد يعترضي من عقبات، وهي التي تنير طريقنا وترشدنا دائماً إلى الأفضل. ولنا في التجربة التي قام بها العربُ في ماضيات أيامهم وهم ينقلون تراث اليونان والفرس والهند وغيرهم إلى العربية خيرُ هادٍ لنا في تجربتنا الجديدة، فقد كانوا حين يواجههم المصطلح الأجنبي لا يضيقون به ذرعاً، فإما أن يجدوا له المقابل العربي الملائم، أو يحتفظوا به كما هو، ثم جاء الجيل الخالف من بعدهم فأتمّ عملهم وأكمله وهذّبه ونقّحه، ووضع المصطلح العربي لكثير من الألفاظ الأعجمية. وإننا اليوم، بفضل المجامع العلمية واللغوية، والمؤسسات الثقافية، أقوى وأقدر على مواجهة الألفاظ الأجنبية وإيجاد المقابل العربي، إن اللغات الأجنبية الحديثة نفسها لم تصل إلى ما وصلت إليه من الدقة والسعة واستيعاب منجزات العصر، والقدرة على التعبير عن أدق المعاني إلا بعد معاناة وممارسة وبحث واستقصاء. وهذه المجامع العلمية القائمة عندهم أوضح بيان على ما يبذلون من جهد، وما يصطنعون ليهتدوا إلى المصطلح الملائم. ولا بدّ لنا، ونحن نصنع مستقبل الأمة العلمي، من المعاناة والجهد حتى يعود للغة العربية حيويتها ومرونتها ونضارتها وألقها، ثم إسهامها الجادّ الكبير في ميادين العلوم والتقانة (التكنولوجيا). وإن تجربة التعريب في

[28] اللغة العربية في التعليم العالي والبحث العلمي للدكتور مازن المبارك: 41 - 53.

جامعات الجمهورية العربية السورية ونجاحها لدليلٌ حيٌّ ومَثَلٌ ملموس، على قدرة اللغة العربية أن تنهض بالتعبير عن أدق المعاني، ولا خشية مطلقاً على المستوى العلمي الذي نحرص جميعاً على النهوض به ليظل في مستوى أرقى الجامعات الغربية. المسألة الشائكة الوحيدة في موضوع المصطلح والتي تواجهنا اليوم هي توحيده، وهي الإلزام به، وهما يحتاجان حقاً إلى قرارٍ ملزمٍ تتولاه سلطة[29].

وقد قدمنا تصوراً يؤدي إلى توحيد المصطلح، بوسعنا أن نناقشه فنقبل به أو نعدله، أو نستبدل به آخر نراه أجدى وأنفع في توحيد المصطلح والإلزام به، فإذا ما تم لنا ذلك، لم يكن بد من أن تقبل الجامعات التي ارتضت التعريب ومضت في طريقه، الالتزامَ بالمصطلح الموحّد، انتظاراً للقرار الملزم تفرضه السلطة العليا، بل إني أعدُّ هذا الإجراء، إذا تحقق، جزءاً من القرار الملزم. ويبدو في الأفق العربيّ إرهاصات تؤذن بذلك، فقد قام الأطباء العرب أخيراً بمساعٍ جدية في هذا المضمار انتهت إلى إقرار المعجم الطبي الموحد[30]. أليس في هذا ما يدعو إلى التفاؤل والأمل بمعجمات موحدة مماثلة في مختلف هذه العلوم والمعارف؟

وإذا كان المصطلح العلمي قد حظي وما يزال يحظى بهذه العناية التي أحاطته بها المجامع والجامعات والمؤسسات العلمية، حتى أصبح لدينا الآلاف المؤلفة من المصطلحات في مختلف العلوم والمعارف، فإني أرى ألاّ بدّ من الإشارة إلى أمر أساسي أراه الأول والأهم في طريقنا إلى تنفيذ التعريب في التعليم

---

[29] يحضرني هنا أن أذكر أني شرفت بمقابلة السيد الرئيس هواري بومدين رئيس الجمهورية الجزائرية - سقاه الله صوب رضوانه وأغدق عليه سحائب رحمته - في أعقاب مؤتمر للتعريب عقد بالجزائر، وأفضى بنا الحديث إلى التعريب وضرورته، وكان الرئيس بومدين مؤمناً بالتعريب الإيمان كله، يبذل ما يبذل لتحقيقه في الجزائر العربية، فبيّن لي أن هذا الموضوع له الشأن الأول في حياة الأمة العربية وثقافتها، وأنه سيعرضه في أول اجتماع يعقد لمؤتمر القمة ليصدر قرار عن أكبر سلطة في الوطن العربي بوجب أن يكون التعليم في جميع مراحله باللسان العربي المبين.

[30] المعجمات الطبية وتوحيد المصطلح الطبي للدكتور حسني سبح - مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق: مج 59، ص 239 - 244.

العالي وهو الكتاب العلمي الجامعي: مؤلفاً أو مترجماً، وكتاباً تعليمياً خاصاً يتضمن المقرر أو كتاباً مرجعاً.

إن تأليف الكتب الجامعية أو ترجمتها، وتأليف الكتب التعليمية عامة يتطلب صفات خاصة لابد من مراعاتها والعناية بها تتصل بسلامة الأسلوب، ودقة التعبير، ووضوح المعاني، والبعد عن الغموض، وتجنب الإطالة المملة، والإيجاز المخل، كذلك فإنه لابد من المحافظة على المستوى العلمي الجامعي المطلوب، وتضمين الكتاب الجامعي أحدث المعلومات والنظريات وأدقها. إن هذه الشروط وأمثالها والتي تتصل بالمضمون العلمي والأسلوب هي أول ما يجب أن يتوافر في الكتاب الجامعي المؤلف بالعربية أو المترجم، وهي أول ما يجب أن نعنى به ونسعى له جاهدين، لنضمن لخطواتنا الأولى في تنفيذ التعريب أن تنجح وتتلوها خطوات، ولا بأس من أن يلحق في ختام كل كتاب جامعي معجم لغوي صغير يتضمن مصطلحاته، ريثما يتم تأليف المعجم العلمي الموحد. وإني أتمنى على ندوتنا أن تولي أمر الكتاب الجامعي ما يستحق من الدرس والعناية والاهتمام فهو في رأينا المحك الحقيقي لنجاح التعريب، وأن يؤتي ثماره دانية القطوف طيبة الجنى.

جامعة دمشق Damascus University

وقل رب زدني علما
جامعة دمشق
Damascus University

تدريبات

س1- وازن بين الكلمتين السابقتين من حيث الأسلوب، وطريقة البناء ومنهج الكتابة.

س2- اعتمدت الكلمة الأولى على المشافهة، وبدا أن الكلمة الثانية قد كتبت مسبقاً، وبدت كأنها بحث... اذكر شواهد من النصين تؤكد ذلك.

س3- اذكر أسماء بعض الأعلام ممن شكلوا حضوراً ملفتاً في الثقافة العربية على مستوى إلقاء الكلمات والخطابات...

س4- ما الفرق بين الكلمة والخطبة ؟

س5- ما موضوع كلمة د.كمال حمدان؟ وما مدى ارتباطها بعنوان الندوة؟

س6- أيهما أكثر أثراً في المتلقي الكلمة الشفوية أم الكلمة المكتوبة؟

س7- على مستوى المتعة والتشويق أيهما أكثر أثراً، وماهي العوامل؟

س8- اقترح مناظر محددة لشرائح مناسبة في حال قدمت الكلمتان عبر الشرائح الضوئية(powr point).

س9- تتحدث الكلمتان عن موضوعين مختلفين.. هل يدخل موضوع كل منهما في إطار الثقافة العامة أم الثقافة المتخصصة؟

س10- حاول د.شاكر مصطفى الإشارة في كلمته إلى المشاكل التي تعترض سبل تعريب المصطلحات، أضف ماتراه مناسباً.

س11- هل من علاقة بين المكان الذي تُقدّم فيه الكلمة، وموضوعها؟

س12- ما هي الجهود المنتظرة من المختصين العرب في مجال التعريب في ظل ثقافة الإنترنت والإعلام البديل...؟ هل تظن أن المسألة صارت أبسط أم أكثر تعقيداً؟

س13- أكد د.شاكر مصطفى فكرة الموضوعية والعلمية في التعامل مع المصطلحات الأجنبية وتعريبها وضرورة في الحياة، وذكر بعض التجارب... اذكر مثالاً يؤكد ذلك.

س14- ما دور المناسبة في الكلمتين؟

س15- كثرت الندوات التي تتحدث عن تعريب المصطلحات والترجمة... ما جدوى ذلك؟ ألم يئن الأوان للانتقال من التشخيص إلى العلاج على نطاق مؤسساتي واسع؟

س16- يقول د. شاكر مصطفى (إن تأليف الكتب الجامعية أو ترجمتها، وتأليف الكتب التعليمية عامة يتطلب صفات خاصة لابد من مراعاتها والعناية بها تتصل بسلامة الأسلوب، ودقة التعبير، ووضوح المعاني، والبعد عن الغموض، وتجنب الإطالة المملة، والإيجاز المخل، كذلك فإنه لابد من المحافظة على المستوى العلمي الجامعي المطلوب، وتضمين الكتاب الجامعي أحدث المعلومات والنظريات وأدقها) مامدى توفر ذلك فيما تدرسه من مقررات؟

س17- يلحظ أن د.كمال حمدان لم يكن متشحاً بالتفاؤل حول مستقبل الاقتصاد العربي.... ماهي العوامل التي جعلته غير متفائل؟ وهل تشاطره الرأي ولماذا؟

س18- يؤكد د.شاكر مصطفى على أهمية جهود المجامع اللغوية العربية، ويرى نفر من الباحثين أن المجامع اللغوية العربية تمتلك العلم والمعرفة لكنها لا تمتلك سلطة فرض استعمال المصطلحات والابتعاد عن الأخطاء... ماهي السبل الكفيلة برأيك لتخفف من الأخطاء اللغوية؟

س19- أعرب المقطع التالي أولاً، وحاول أن تستذكر إعراب الفعل المضارع إذا دخل عليه حرف نصب، وما هي الحروف الناصبة، ولماذا تضمر وتظهر؟ (وقد قدمنا تصوراً يؤدي إلى توحيد المصطلح، بوسعنا أن نناقشه فنقبل به أو نعدله، أو نستبدل به آخر نراه أجدى وأنفع في توحيد المصطلح والإلزام به).

س20- علّل سبب كتابة الهمزة في المقطع التالي:

(وإذا كنا نستشعر اليوم إحساساً جديداً وتفاؤلاً عميقاً، وإيماناً لا حدود له بوجوب تعريب التعليم الجامعي، ونعمل جميعاً جاهدين لإنجاحه، وتهيئة الظروف المناسبة وتوفير الشروط الملائمة لنمضي فيه بخطا مطمئنة واثقة، فإني أقدم في السطور التالية نتائج ما انتهى إليه العلماء والباحثون العرب في قضية المصطلح العلمي).

س21- استخرج من المعجم معاني المفردات الآتية، واستذكر الفرق بين المعنى المعجمي والمعنى التركيبي لها وفقاً لما ورد في النص؟

(المحك- الداني- القطوف- إرهاصات- نقحه- هذبه- هوّل- لابس- سائغ- تحرّى- تقصّى- آثر- الوشيجة)

س22- وردت التراكيب التالية في كلمة د. شاكر مصطفى... هل يمكنك أن تفيد منها في نص تنشئه مشافهة؟ (قطوف دانية- ضاق ذرعاً- خطا حثيثة- حبيسة الكتب- ناصية البيان- عواقب وخيمة- نعقد الخناصر- مدارج الرقي- مناهل عذبة- تفصم عرى الصلات الوثيقة).

س23- فقدتَ شخصاً له مكانة في نفسك، حاول أن تقول كلمة في عشرة أسطر عن أثره في حياتك...

وقل رب زدني علما
Damascus University

الفصل الثاني

الأجناس الأدبية من الاستماع إلى الكتابة

- المسرح
- القصيدة/ الأغنية
- الأمسيات الشعرية

وقل رب زدني علما
جامعة دمشق
Damascus University

وقل رب زدني علما
جامعة دمشق
Damascus University

الأجناس الأدبية من الاستماع إلى الكتابة

ولدت معظم الأجناس الأدبية من جذور شفوية قبل أن تصل إلى المرحلة الكتابية، وقد ترك ذلك أثره على الكثير من مكوناتها وطرائقها، ويعدّ الشعر الابن البار للشفوية والاستماع؛ وقد كان أداة التعبير للمسرح في نماذج عدة، وتضفي الشفوية سماتها على الأجناس الأدبية نظراً لتغاير فعاليتيْ الكتابة والشفوية حيث تركز الأخيرة على الأفقية والتتابع والخيط الناظم، والسرعة في إيصال الفكرة، بما أن الميدان سيكون متاحاً للتذكر أكثر من كونه متاحاً للتأمل الذي تسنح به النصوص الكتابية...

وقد ظل الشعر عبر العصور، على الرغم من كل ما حدث لنظرية الشعر من تغيرات، مخلصاً للشفوية، يفيد منها في سرعة الوصول، وتفيد منه في تأكيد أهمية وجودها بصفتها وسيلة إيصال أساسية.

وقد تنوعت طرائق الشفوية على المستوى الشعري حيث غدت الأمسيات الشعرية إحدى طرائق إيصال الشعر إلى متلقيه، إذ يُعلن عن موعد مسبق يذهب إليه الراغبون في سماع الشعر والاستمتاع به، أما الأغاني بصفتها وسيلة إيصال للشعر فقد عرفتها البشرية منذ قرون حيث ارتبطت به، وهذا الارتباط مردّه إلى عوامل عدة.

ويعدّ المسرح من الأجناس الأدبية التي تفيد من الاستماع، بما أن النص الأدبي المسرحي غالباً ما يبقى حبيس الأوراق بانتظار أن يُفكّ حبسه بتجسيده أمام المشاهدين، والقصة القصيرة كذلك من الفنون التي تلقى في الأمسيات الأدبية، وقد يتبع تلك الأمسيات نقاش وحوار مع الكاتب، وقد يرافق بعض الأمسيات ناقد يقوم

بالتعليق على ما استمع إليه الجمهور، حيث يتلو ذلك حوار حول تجربة الشاعر أو القاص...

إذاً؛ ليست فعاليتا الاستماع والمناقشة بطارئتين على الأجناس الأدبية، بل إن لها تاريخاً طويلاً معها، حيث تطورت الكثير من عناصرها ورؤاها في ضوء الشفوية، وثمة فنون عدة أفادت من تلك الأجناس لتحقق وجودها، بيْدَ أن ما تثيره تلك الأجناس الأدبية غالباً ما يستثير مناقشات وأسئلة بين قائلها والجمهور الذي يستمع إليها.

وتتبدى تلك الفنون من خلال صياغات أخرى قد لا تحقق الانتشار الذي تحققه إبان تبدّيها من خلال الشعر. وهذا يكشف أن العلاقة تبادلية بين تلك الأجناس والفنون، وأن كلاً منهما يتطور في ضوء علاقته بالآخر.

جامعة دمشق Damascus University

قصيدة الحزن[34]

علّمني حُبُّكِ أن أحزن
وأنا مُحتَاجٌ منذُ عصور
لامرأةٍ تَجعَلَني أحزن
لامرأةٍ أبكي بينَ ذراعيها
مثلَ العُصفُور..
لامرأةٍ تَجمعُ أجزائي
كشظايا البلّورِ المكسور
علّمني حُبُّكِ.. سيّدتي
أسوأ عادات
علّمني أفتحُ فنجاني
في الليلةِ آلافَ المرّات
وأجرّبُ طبَّ العطّارينَ..
وأطرقُ بابَ العرّافات
علّمني.. أخرجُ من بيتي
لأمشّط أرصفةَ الطُرقات
وأطاردَ وجهكِ..
في الأمطارِ، وفي أضواء السيّارات
وأطاردَ طيفكِ..
حتّى.. حتّى..
في أوراق الإعلانات

---

[34] – غناء كاظم الساهر.

علّمني حبّكِ
كيفَ أهيمُ على وَجهي ساعات
بَحثاً عن شِعرٍ غَجَريٍّ
تحسُدُهُ كُلُّ الغَجريّات
بحثاً عن وجهٍ.. عن صوتٍ..
هوَ كُلُّ الأوجهِ والأصوات
أدخلني حبُّكِ سيِّدتي
مُدُنَ الأحزان
وأنا من قبلكِ لم أدخل
مُدُنَ الأحزان..
لم أعرِف أبداً أن الدمعَ هو الإنسان
أن الإنسانَ بلا حزنٍ..
ذكرى إنسان
علّمني حبكِ..
أن أتصرّفَ كالصبيان
أن أرسمَ وجهك..
بالطبشورِ على الحيطان
وعلى أشرعةِ الصيّادين
على الأجراسِ..
على الصلبان
علّمني حبكِ..
كيف الحبُّ يغيّرُ خارطةَ الأزمان
علّمني.. ألّي حينَ أحبُّ

تكُفُّ الأرضُ عن الدوران..
علّمني حُبك أشياءَ
ما كانت أبداً في الحُسبان
فقرأتُ أقاصيصَ الأطفالِ..
دخلتُ قصورَ ملوكِ الجان
وحلمتُ بأن تتزوجني
بنتُ السلطان
تلكَ العيناها.. أصفى من ماء الخُلجان
تلك الشفتاها.. أشهى من زهرِ الرُمان
وحلمتُ بأني أخطفُها
مثلَ الفُرسان..
علّمني حُبُّكِ، يا سيّدتي، ما الهذيان
علّمتي.. كيفَ يمرُّ العُمر
ولا تأتي بنتُ السلطان..

علّمني حُبُّكِ أن أحزن
وأنا مُحتاجٌ منذُ عصور
لامرأةٍ تَجعلَني أحزن
لامرأةٍ أبكي بينَ ذراعيها
مثلَ العُصفُور..
لامرأةٍ تَجمعُ أجزائي
كشظايا البلورِ المكسور.

قارئة الفنجان[35]

جَلَسَت والخوفُ بعينيها
تتأمّلُ فنجاني المقلوب
قالت:
يا ولدي.. لا تَحزَن
فالحُبُّ عليكَ هوَ المكتوب
يا ولدي،
قد ماتَ شهيداً
من ماتَ على دينِ المحبوب
فنجانك دنيا مرعبةٌ
وحياتُكَ أسفارٌ وحروب..
ستُحِبُّ كثيراً يا ولدي..
وتموتُ كثيراً يا ولدي
وستعشقُ كُلَّ نساءِ الأرض..
وتَرجِعُ كالملكِ المغلوب
بحياتك يا ولدي امرأةٌ
عيناها، سبحانَ المعبود
فمُها مرسومٌ كالعنقود
ضحكتُها موسيقى و ورود
لكنَّ سماءكَ ممطرةٌ..
وطريقكَ مسدودٌ.. مسدود

---

[35] – غناء عبد الحليم حافظ.

فحبيبةُ قلبكَ.. يا ولدي
نائمةٌ في قصرٍ مرصود
والقصرُ كبيرٌ يا ولدي
وكلابٌ تحرسُهُ.. وجنود
وأميرةُ قلبكَ نائمةٌ..
من يدخُلُ حُجرتها مفقود..
من يطلبُ يَدَها..
من يَدنو من سورِ حديقتها.. مفقود
من حاولَ فكَّ ضفائرها..
يا ولدي.. مفقودٌ.. مفقود
بصَّرتُ.. ونجَّمت كثيراً
لكنّي.. لم أقرأ أبداً
فنجاناً يشبهُ فنجانك
لم أعرف أبداً يا ولدي..
أحزاناً تشبهُ أحزانك
مقدُورُكَ.. أن تمشي أبداً
في الحُبِّ.. على حدِّ الخنجر
وتَظلَّ وحيداً كالأصداف
وتظلَّ حزيناً كالصفصاف
مقدورك أن تمضي أبداً..
في بحرِ الحُبِّ بغيرِ قُلوع
وتُحبَّ ملايينَ المرّاتِ..
وترجعُ كالملكِ المخلوع..

كلمات[36]

يُسعدني.. حينَ يراقصُني
كلماتٍ ليست كالكلمات
يأخذني من تحتِ ذراعي
يزرعني في إحدى الغيمات
والمطرُ الأسودُ في عيني
يتساقطُ زخاتٍ.. زخات
يحملني معهُ.. يحملني
لمساءِ وردي الشُرفات
وأنا.. كالطفلةِ في يدهِ
كالريشةِ تحملها النسمات
يحملُ لي سبعةَ أقمارٍ
بيديهِ وحُزمةَ أغنيات
يهديني شمساً.. يهديني
صيفاً.. وقطيعَ سنونوّات
يخبرني.. أني تحفتهُ
وأساوي آلافَ النجمات

---

[36] - غناء ماجدة الرومي

و بأنـــي كنـــزٌ... وبأني
أجملُ ما شاهدَ من لوحات
يروي أشيـــاءَ تدوخـــني
تنسيني المرقصَ والخطوات
كلماتٍ تقلـــبُ تاريخي
تجعلني امرأةً في لحظـــات
يبني لي قصـــراً من وهـــمٍ
لا أسكنُ فيهِ سوى لحظات
وأعودُ.. أعودُ لطـــاولـــتي
لا شيءَ معي.. إلا كلمات...

جامعة دمشق
Damascus University

تدريبات

س1- حاول قراءة القصائد السابقة؛ بعيداً عن تذكر مَن غناها، ثم احصر الإضافات التي قدمها الغناء واللحن.

س2- افتتح الشاعر قباني نصوصه بفعل الأمر للمرأة... ما دلالة ذلك وما فائدته للنص؟

س3- تحمل القصائد السابقة حكايات تشكل عمادها الرئيس... ما دور الحكاية في القصيدة المغناة، وهل تساعد على أن يتابع المستمع عوالم الأغنية؟

س4- يشكل موضوع الحب وعلاقة الرجل بالمرأة المكون الرئيس لأشعار نزار قباني، بخاصة القصائد المغناة... هل يحقق لها ذلك جماهيرية أكبر؟ ما هي العوامل التي تجعل النص الشعري مقبولاً عند الجمهور...؟

س5- حمل النص الأخير (كلمات) دلالات مباشرة وغير مباشرة، واتسم بالعمق... حاول أن توازنه مع نص من النصوص السابقة، وأن تدوّن الفروق الرئيسية بينهما على المستوى الفني.

س6- بين بداية القصيدة/ القصة ونهايتها أحداث... هل انسجمت البدايات مع النهايات؟ كيف؟

س7- اقرأ المقطع التالي بتمعن، ثم أجب عن الأسئلة التالية له:

لم أعرف أبداً يا ولدي..
أحزاناً تشبهُ أحزانك
مقدُورُكَ.. أن تمشي أبداً
في الحُبِّ.. على حدّ الخنجر
وتَظلَّ وحيداً كالأصداف
وتظلَّ حزيناً كالصفصاف

مقدورِكَ أن تمضي أبداً..

في بحرِ الحُبِّ بغيرِ قُلوع

وتُحبُّ ملايينَ المرّاتِ...

وترجعُ كالملكِ المخلوع..

- أعرب الكلمات التي وضع تحتها خط.
- علل سبب كتابة الهمزة فيما يأتي:

أحزاناً تشبهُ أحزانك

مقدُورُكَ.. أن تمشي أبداً.

- ورد في المقطع تركيب(حد الخنجر) وتركيب (تحب ملايين المرات) هل قصد الشاعر المعنى الحرفي أم المعنى المجازي؟ وازن بينهما...
- أفاد الشاعر من التشبيه عبر التعويل على ذاكرة المتلقي، ما الرابط بين الصفصاف والملك المخلوع والأصداف...؟
- هل يعتمد الشاعر في بناء صوره على المحسوس أكثر من المجرد ولماذا؟
- استذكرْ من التاريخ اسم ملك تم خلعه؟ ولماذا؟

جامعة دمشق Damascus University

الجدارية[37]

محمود درويش[38]

هذا هو اسمك /
قالتْ امرأة،
وغابتْ في الممر اللولبي
أري السماء هناك في متناول الأيدي،
ويحملني جناح حمامة بيضاء صوْب
طفولة أخري. ولم أحلمْ بأني
كنت أحلم. كل شيء واقعي. كنْت
أعلم أنني ألْقي بنفسي جانبا
وأطير. سوف أكون ما سأصير في

---

[37] – أداها الفنان بشار زرقان.

[38] - هو محمود سليم حسين درويش شاعر فلسطيني، ولد عام 1941 في قرية البروة وهي قرية فلسطينية تقع في الجليل قرب ساحل عكا، اعتقل من قبل السلطات الإسرائيلية مرارا بدأ من العام 1961 بتهم تتعلق بتصريحاته ونشاطه السياسي وذلك حتى عام 1972 حيث توجه إلى للاتحاد السوفييتي للدراسة، وانتقل بعدها لاجئا إلى القاهرة في ذات العام حيث التحق بمنظمة التحرير الفلسطينية، ثم لبنان حيث عمل في مؤسسات النشر والدراسات التابعة لمنظمة التحرير الفلسطينية، استقال من اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير احتجاجاً على اتفاقية أوسلو.
في الفترة الممتدة من سنة 1973 إلى سنة 1982 عاش في بيروت وعمل رئيساً لتحرير مجلة "شؤون فلسطينية"، وأصبح مديراً لمركز أبحاث منظمة التحرير الفلسطينية قبل أن يؤسس مجلة "الكرمل" سنة 1981، ترك بيروت سنة 1982 بعد أن غزا الجيش الإسرائيلي بقيادة شارون لبنان وحاصر العاصمة بيروت لشهرين وطرد منظمة التحرير الفلسطينية منها. أصبح درويش "منفياً تلاحقه"، منتقلاً من سورية وقبرص والقاهرة وتونس إلى باريس... صدرت أعماله في ديوان بعد أن صدرت في مجموعات شعرية منفصلة، رحل عام 2008.

الفلك الأخير.

وكلّ شيء أبيض،
البحر المعلق فوق سقف غمامةٍ
بيضاء. واللا شيء أبيض في
سماء المطْلق البيضاء. كنْتُ، ولم
أكنْ. فأنا وحيد في نواحي هذه
الأبدية البيضاء. جئت قبيْل ميعادي
فلم يظْهرْ ملاك واحد ليقول لي:
((ماذا فعلت، هناك، في الدنيا ؟))
ولم أسمع هتاف الطيبين، ولا
أنين الخاطئين، أنا وحيد في البياض،
أنا وحيد "

لاشيء يوجعني على بابه القيامة،
لا الزمان ولا العواطف. لا
أحس بخفةِ الأشياء أو ثقلِ
الهواجس. لم أجد أحدا لأسأل:
أين ((أينني)) الآن ؟ أين مدينة
الموتى، وأين أنا ؟ فلا عدم
هنا في اللا هنا في اللازمان،
ولا وجود

وكأنني قد مت قبل الآن
أعرف هذه الرؤيا، وأعرف أنني
أمضي إلي ما لستُ أعرف. ربّما
ما زلت حيا في مكانٍ ما، وأعرف
ما أريد
سأصير يوما ما أريد

سأصير يوما فكرة. لا سيف يحملها
إلي الأرضِ اليبابِ، ولا كتاب "
كأنها مطر علي جبلٍ تصدّع من
تفتح عشْبة ،
لا القوة انتصرتْ
ولا العدل الشريد
سأصير يوما ما أريد

سأصير يوماً طائراً، وأسل من عدمي
وجودي. كلما احترق الجناحانِ
اقتربت من الحقيقةِ، وانبعثت من
الرمادِ. أنا حوار العالمين، عزفْت
عن جسدي وعن نفسي لأكْمِل
رحلتي الأولي إلي المعني، فأحرقني
وغاب. أنا الغياب. أنا السماوي
الطريد.

سأصير يوما ما أريد

سأصير يوماً كرمة،
فليعتصرني الصيف منذ الآن،
وليشربْ نبيذي العابرون علي
ثريات المكان السكري !
أنا الرسالة والرسول
أنا العناوين الصغيرة والبريد
سأصير يوما ما أريد

هذا هو اسمك /
قالتِ امرأة،
وغابتْ في ممر بياضها.
هذا هو اسمك، فاحفظِ اسْمك جيّدا !
لا تختلفْ معه على حرفي
ولا تعْبأ برايات القبائلِ،
كنْ صديقا لاسمك الأفقي
جربْه مع الأحياء والموتي
ودربْه علي النطْق الصحيح برفقة الغرباء
واكتبْه علي إحدى صخور الكهف،
يا اسمي: سوف تكبر حين أكبر
سوف تحملني وأحملك
الغريب أخ الغريب

الساحل السوري من طول المسافة،
واحترقْن بشمس آب. رأيتهنّ على
طريق النبع قبل ولادتي. وسمعت
صوتَ الماء في الفخّار يبكيهنّ:
عذن إلي السحابة يرجعِ الزمن الرغيد

قال الصدى:

لاشيء يرجع غير ماضي الأقوياء
على مسلات المدى "ذهبية آثارهمْ
ذهبية ورسائلِ الضعفاءِ للغدِ،
أعطِنا خبزَ الكفاف، وحاضرا أقوى.
فليس لنا التقمص والحلول ولا الخلود

قال الصدى:

وتعبت من أملي العضال. تعبت
من شرك الجماليات: ماذا بعد
بابل؟ كلما اتضح الطريق إلى
السماء، وأسفر المجهول عن هدفِ
نهائي تفشي النثر في الصلوات،
وانكسر النشيد
خضراء، أرض قصيدتي خضراء عالية "

تطل علي من بطحاء هاويتي
غريب أنت في معناك. يكفي أن
تكون هناك، وحدك، كي تصير
قبيلة
غنيت كي أزن المدى المهدور
في وجع الحمامة،
لا لأشرح ما يقول الله للإنسان،
لست أنا النبي لأدعي وحياً
وأعلن أن هاويتي صعود[39].

[39] – اكتفينا بهذه المقاطع نظراً لطولها، وهي محمّلة كتابة وغناء وأحياناً بصوت الشاعر نفسه، كما معظم القصائد الواردة على الانترنت.

أحنّ إلى خبز أمي... [40]

أحنُّ إلى خبز أمي
وقهوةِ أمي
ولمسةِ أمي..
وتكبر فيَّ الطفولةُ
يوماً على صدر يومِ
أعشق عمري لأني
إذا متُّ
أخجل من دمع أمي!
خذيني.. إذا عدتُ يوماً
وشاحاً لهدبكْ
وغطي عظامي بعشبٍ
تعمَّد من طهر كعبكْ
وشدّي وثاقي..
بخصلة شعرِ..
بخيطٍ يلوّح في ذيلِ ثوبك..
ضعيني إذا ما رجعتُ
وقوداً بتنور نارِكْ
وحبل غسيل على سطح دارِكْ
لأني فقدت الوقوف
بدون صلاةِ نهارِكْ

---

[40] .. لخاها مارسيل خليفة.

هرمتُ فردّي نجوم الطفولة
حتى أُشاركْ
صغار العصافير..
درب الرجوع..
لعُشٍّ انتظارك!!
ردّي نجوم الطفولة
حتى أُشارك صغار العصافير
درب الرجوع...
لعش انتظارك!!

جامعة دمشق
Damascus University

تدريبات

س-1 عُرف محمود درويش بتركيزه على الجانب الإنساني في نصوصه، وحديثه عن العوالم من خلال التجربة والمعاناة... أين تجد ذلك في النصوص السابقة؟

س2- شكل الحنين غير البكائي، بل الحنين الدرامي محوراً رئيسياً في شعر محمود درويش... حاول البحث في أسباب ذلك....

س3- تحدث محمود درويش عن قضية الأرض بصفتها وطناً وملاذاً وحاجة.... أشر إلى موضعين حملا هذه الدلالة في النصوص السابقة.

س4- تشكل عناوين نصوص محمود درويش جوازات مرور إلى نصوصه... تحدث عن ذلك في النصوص السابقة.

س5- تمعّن في المقطع التالي، ثم أجب عن الأسئلة التي تأتي بعده:

سأصير يوماً فكرة. لا سيف يحملها
إلى الأرض اليباب، ولا كتاب
كأنها مطر على جبل تصدع من
تفتح عش
بة
لا القوة انتصرت
ولا العدل الشريد
سأصير يوماً ما أريد

- كيف يتحول الإنسان إلى فكرة، وهل تحتاج الفكرة إلى القوة لكي تعيش؟
- هل في هذه الأمنية هروب من الواقع أم لجوء إلى الخيال؟
- إذا لم تنتصر القوة أو العدل فمن سينتصر؟

- هل يتصدع الجبل من تفتح العشب؟ ما المراد بذلك؟
- (الأرض اليباب) عنوان قصيدة للشاعر إليوت... عد إلى تلك القصيدة وحاول أن تجد الأسباب التي جعلت درويش يوظفها؟ وهل من تشابه بين النصين؟

س6- تدخل قصيدة (أحن إلى خبز أمي) فيما يمكن أن يدعى (شعر التفاصيل اليومية) ما سمات تلك القصيدة؟

س7- استذكر نصاً شعرياً تحدث عن الأم، ووازنه فنياً ودلالياً مع نص درويش.

س8- اقرأ المقطع التالي وحاول البحث في دلالاته الكامنة وعلاقته بالأم الرمز:

ردّي نجوم الطفولة
حتى أشارك صغار العصافير
درب الرجوع...
لعش انتظارك!!

المطر[41]

بدر شاكر السياب[42]

عيناكِ غابتا نخيلٍ ساعةَ السحر
أو شرفتانِ راحَ ينأى عنهُما القمر
عيناكِ حين تبسمانِ تُورقُ الكروم
وترقصُ الأضواءُ.. كالأقمارِ في نهر
يرجُّهُ المجذافُ وَهْناً ساعةَ السحر...
كأنّما تنبُضُ في غوريهما النجوم
= = =
وتغرقان في ضبابٍ من أسىً شفيف
كالبحرِ سرَّحَ اليدينِ فوقَهُ المساء
دفءُ الشتاءِ فيه وارتعاشةُ الخريف
والموتُ والميلادُ والظلامُ والضياء
فتستفيقُ ملءِ روحي، رعشةُ البكاء
ونشوةٌ وحشيةٌ تعانق السماء
كنشوةِ الطفلِ إذا خاف من القمر
= = =

---

41 – غناها المطرب محمد عبده.

42 - بدر شاكر السياب 1026-1964 شاعر عراقي، ولد بقرية جيكور جنوب شرق البصرة ثم انتقل إلى بغداد فدخل دار المعلمين العالية، والتحق بفرع اللغة العربية، ثم الإنجليزية .ومن خلال تلك الدراسة أتيحت له الفرصة للاطلاع على الأدب الإنجليزي بكل تفرعاته، عمل مدرساً للغة الإنجليزية في إعدادية الرمادي ولكنه طرد منها ثم سجن بسبب معتقداته السياسية، من رواد شعر التفعيلة، له ديوان شعري، وظف فيه الأسطورة والرمز...

كأنّ أقواسَ السحابِ تشربُ الغيوم..
وقطرةٌ فقطرةٌ تذوبُ في المطر...
وكركرَ الأطفالُ في عرائش الكروم
ودغدغت صمتَ العصافيرِ على الشجر
أنشودةُ المطر
مطر
مطر
مطر
= = =
تثاءبَ المساءُ والغيومُ ما تزال
تسحّ ما تسحّ من دموعها الثقال:
كأنّ طفلاً باتَ يهذي قبلَ أنْ ينام
بأنّ أمّه – التي أفاقَ منذ عام
فلم يجدْها، ثم حين لجَّ في السؤال
قالوا له: "بعد غدٍ تعود" –
لا بدّ أنْ تعود
وإنْ تهامسَ الرفاقُ أنّها هناك
في جانبِ التلِ تنامُ نومةَ اللحود،
تسفُ من ترابها وتشربُ المطر
كأنّ صياداً حزيناً يجمعُ الشباك
ويلعنُ المياهَ والقدر
وينثرُ الغناء حيث يأفلُ القمر
مطر، مطر، المطر
= = =

أتعلمين أيَّ حزنٍ يبعثُ المطر؟
وكيف تنشجُ المزاريبُ إذا انهمر؟
وكيف يشعرُ الوحيدُ فيه بالضياع؟
بلا انتهاء_ كالدمِ المُراق، كالجياع كالحبّ كالأطفالِ كالموتى –
هو المطر
ومقلتاك بي تطيفان مع المطر
وعبرَ أمواجِ الخليجِ تمسحُ البروق
سواحلَ العراق
بالنجومِ والمحار،
كأنها تَهمُّ بالشروق
فيسحبُ الليلُ عليها من دمٍ دثار
= = =
أصيحُ بالخليج: "يا خليج
يا واهبَ اللؤلؤ والمحارِ والردى"
فيرجع الصدى كأنّهُ النشيج:
"يا خليج: يا واهب المحار والردى"
= = =
أكادُ أسمعُ العراقَ يذخرُ الرعود
ويخزنُ البروقَ في السهولِ والجبال
حتى إذا ما فضّ عنها ختمَها الرجال
لم تترك الرياحُ من ثمود
في الوادِ من أثر
أكادُ أسمعُ النخيلَ يشربُ المطر
وأسمعُ القرى تئنّ، والمهاجرين
يصارعون بالمجاذيفِ وبالقلوع

عواصفَ الخليجِ والرعود، منشدين
مطر.. مطر.. مطر
وفي العراق جوعٌ
وينثرُ الغلال فيه موسم الحصاد
لتشبعَ الغربانُ والجراد
وتطحن الشوان والحجر
رحىً تدورُ في الحقولِ... حولها بشر
مطر
مطر
مطر
وكم ذرفنا ليلةَ الرحيل من دموع
ثم اعتللنا - خوفَ أن نُلامَ - بالمطر
مطر
مطر
ومنذ أنْ كنّا صغاراً، كانت السماء
تغيمُ في الشتاء
ويهطلُ المطر
وكلَّ عامٍ - حين يعشبُ الثرى- نجوع
ما مرَّ عامٌ والعراقُ ليسَ فيه جوع
مطر
مطر
مطر
= = =
في كلّ قطرةٍ من المطر
حمراءُ أو صفراءُ من أجنّة الزهر

وكلّ دمعةٍ من الجياعِ والعراة
وكلّ قطرةٍ تُراقُ من دمِ العبيد
فهي ابتسامٌ في انتظارِ مبسمٍ جديد
أو حلمةٌ تورّدتْ على فمِ الوليد
في عالمِ الغدِ الفتيّ واهبِ الحياة
مطر
مطر
مطر
سيعشبُ العراقُ بالمطر
= = =

أصيحُ بالخليج: "يا خليج..
يا واهبَ اللؤلؤ والمحار والردى"
فيرجع الصدى كأنه النشيج:
"يا خليج: يا واهب المحار والردى"

وينثرُ الخليجُ من هباته الكثار
على الرمال، رغوةَ الأجاج، والمحار
وما تبقى من عظام بائس غريق
من المهاجرين ظل يشرب الردى
من لجة الخليجِ والقرار
وفي العراق ألف أفعى تشرب الرحيق
من زهرة يربّيها الفرات بالندى
= = =

وأسمعُ الصدى
يرنّ في الخليج:
مطر
مطر
مطر
= = =
في كل قطرةٍ من المطر
حمراءُ أو صفراءُ من أجنةِ الزهر
وكلّ دمعةٍ من الجياعِ والعراة
وكل قطرةٍ تُراق من دمِ العبيد
فهي ابتسامٌ في انتظارِ مبسمٍ جديد
أو حلمةٌ تورّدت على فمِ الوليد
في عالمِ الغدِ الفتي، واهبِ الحياة
= = =
ويهطلُ المطرُ.

تدريبات

س1- يعد هذا النص من النصوص الدرامية، وليس من النصوص ذات الطابع الغنائي، ما مدى ملاءمة هذا النص للغناء؟ وماذا أضاف اللحن له؟

س2- ثمة روح أسطورية تسري في هذا النص، اذكر بعض دلالات حضورها.

س3- يعد الرمز من العناصر التي يعتمد عليها الشعر، هل شكل الرمز في النص عائقاً في وجه وصول الدلالة للمتلقي؟

س4- ثمة حضور لافت للمكان في النص...تحدث عن بعض سماته، ثم حاول البحث في ارتباط النص بزمان كتابته...!

جامعة دمشق Damascus University

الفصل الثالث

الحوار

(الثقافي والأدبي والسياسي والفني...)

وقل رب زدني علما
جامعة دمشق
Damascus University

وقل رب زدني علما
جامعة دمشق
Damascus University

الحوار

الحوار، لغة، الإجابة والمجادلة، وهو النقاش بين شخصين للوصول إلى نتيجة حول موضوع معين. وغالباً ما يكون الحوار بين طرفين بينهما أمور مختلفة ووجهات نظر متعددة حول موضوع معين يحتاجان إلى الحوار للوصول إلى المشترك.

ويقدم الحوار أدلة على التطور الذي صنع ثقافة حضارية أحلّت الحوار بدلاً من الصراع والاختلاف. إذ غدا الحديث عنه في السنوات الأخيرة مؤشراً على ما وصلت إليه البشرية من تطور وتقدم، نبذت من خلاله العنف والاختلاف وأحلّتْ بدلاً منه الحوار. وحين أصدر هنتنغتون كتابه الشهير (صراع الحضارات)[43] كُتِبَتْ كتب عدة تدعو إلى نبذ هذه الثقافة، والاستعاضة عنها بالحوار.

والحوار بقدر كونه ضرورة أحياناً فإنه حاجة كذلك، وتربية وثقافة، وثمة أمم يشكل الحوار مكوناً رئيسياً فيها، وثمة أمم تفضل ثقافة الإقصاء، وهذا ينطبق على مستوى الأفراد والجماعات البشرية.

ويشي الحديث عن الحوار بأن الطرفين يملكان مرونة للوصول إلى نتيجة محددة، والحوار في تجلياته الصحفية والإعلامية يشير إلى طرف يسأل وطرف يجيب، حيث يمتلك الطرف المجيب رؤى فكرية وثقافية وسياسية، يستنفرها الطرف السائل، وتشفُّ عن رؤاه التي يحمل بعضها تفاصيل مخفيّة إذا ما كان الأمر يخص فناناً أو كاتباً يهتم الناس بتفاصيله الحياتية، وفي الوقت الذي تتجه فيه بعض الحوارات للتركيز على الشخصي وتنشغل فيه، تكشف الحوارات الفكرية عن أفكار مهمة، قد تحلّل ظواهر اجتماعية وفكرية وثقافية وسياسية تشغل المجتمع، وتشكل ناظماً لبعض تفاصيله.

---

[43] – صدرت ترجمته إلى العربية.

والحوار قد يكون أحياناً بين عدة أطراف ليس من الضروري أن تكون مختلفة، بل تملك وجهات نظر حول موضوع معين يسهم الحوار في كشف هذه الرؤى، أو يضيئها، أو يسهم في تغيير بعضها.

ولئن كان الحوار يعتمد على الأسئلة والأجوبة؛ فإنه لايشي بأن الإجابة هي معلومة، بل غالباً ما تكون تحليلاً ورؤية تتم على خصوصية تولّدت نتيجة الخبرة أو المعرفة أو الوعي.

وقد ذهب الزمن الذي كان يُعتقد فيه أن الحوار لكي يكون قريباً من الناس يجب أن يتوسل باللهجة العامية، فقد أثبتت الأيام والتجارب أن الحوار الأمثل يجب أن يكون بالفصحى، لكي يصل إلى شريحة كبيرة من الناس، والحوار كما هو معلوم المكون الرئيس لفن المسرح، وكذلك يحضر في الرواية والقصة القصيرة ليقوم بأدوار عدة من مثل إبراز خصوصية الشخصيات، وتطورها، وفكرها، وما تؤمن به.

تتنوع صور الحوار في عالمنا المعاصر بين الصحفي والتلفزيوني والإذاعي حيث يترك نوع الوسيلة أثره على تفصيلات الحوار، وإن كان لايمس جوهر التفكير، ويسهم الحوار في إبراز جوانب منسية في حياة الشخصيات ونواظمها الفكرية وثوابتها ورؤاها.

قصيدة الحزن[34]

علّمني حُبُّكِ أن أحزن
وأنا مُحتاجٌ منذُ عصور
لامرأةٍ تَجعلَني أحزن
لامرأةٍ أبكي بينَ ذراعيها
مثلَ العُصفُور..
لامرأةٍ تَجمعُ أجزائي
كشظايا البلّورِ المكسور
علّمني حُبّكِ.. سيّدتي
أسوأ عاداتْ
علّمني أفتحُ فنجاني
في الليلةِ آلافَ المرّاتْ
وأجرّبُ طبَّ العطّارينَ..
وأطرقُ بابَ العرّافاتْ
علّمني.. أخرجُ من بيتي
لأمشّط أرصفةَ الطُرقاتْ
وأطاردَ وجهكِ..
في الأمطارِ، وفي أضواءِ السيّاراتْ
وأطاردَ طيفكِ..
حتّى.. حتّى..
في أوراقِ الإعلاناتْ

---

[34] – غناء كاظم الساهر.

علّمني حبّكِ
كيفَ أهيمُ على وَجهي ساعات
بَحثاً عن شِعرٍ غَجَريٍّ
تحسُدُهُ كُلُّ الغجريّات
بحثاً عن وجهٍ.. عن صوتٍ..
هوَ كُلُّ الأوجهِ والأصوات
أدخلني حبُّكِ سيِّدتي
مُدُنَ الأحزان
وأنا من قبلكِ لم أدخل
مُدُنَ الأحزانِ..
لم أعرِف أبداً أن الدمعَ هو الإنسان
أن الإنسانَ بلا حزنٍ..
ذكرى إنسان
علّمني حبكِ..
أن أتمرّغَ كالصِبيان
أن أرسمَ وجهك..
بالطبشورِ على الحيطان
وعلى أشرعةِ الصيّادين
على الأجراسِ..
على الصلبان
علّمني حبكِ..
كيف الحبُّ بغيرِهِ خارطةَ الأزمان
علّمني.. إنّي حينَ أحِبُّ

تكُفُّ الأرضُ عن الدوران..
علّمني حُبك أشياءَ
ما كانت أبداً في الحُسبان
فقرأتُ أقاصيصَ الأطفالِ..
دخلتُ قصورَ ملوكِ الجان
وحلمتُ بأن تتزوجني
بنتُ السلطانِ
تلكَ العيناها.. أصفى من ماء الخُلجان
تلك الشفتاها.. أشهى من زهرِ الرُمان
وحلمتُ بأني أخطفُها
مثلَ الفُرسان..
علّمني حُبُّكِ، يا سيّدتي، ما الهذيان
علّمني.. كيفَ يمرُّ العُمر
ولا تأتي بنتُ السلطان..

علّمني حُبُّكِ أن أحزن
وأنا مُحتَاجٌ منذُ عصور
لامرأةٍ تجعلُني أحزن
لامرأةٍ أبكي بينَ ذراعيها
مثلَ العُصفُور..
لامرأةٍ تَجمعُ أجزائي
كشظايا البلّورِ المكسور.

قارئة الفنجان[35]

جلَسَت والخوفُ بعينيها
تتأمّلُ فنجاني المقلوب
قالت:
يا ولدي.. لا تَحزَن
فالحُبُّ عليكَ هوَ المكتوب
يا ولدي،
قد ماتَ شهيداً
من ماتَ على دينِ المحبوب
فنجانك دنيا مرعبةٌ
وحياتُكَ أسفارٌ وحروب..
ستُحِبُّ كثيراً يا ولدي..
وتموتُ كثيراً يا ولدي
وستعشقُ كُلَّ نساءِ الأرض..
وتَرجِعُ كالملكِ المغلوب
بحياتك يا ولدي امرأةٌ
عيناها، سبحانَ المعبود
فمُها مرسومٌ كالعنقود
ضحكتُها موسيقى و ورود
لكنَّ سماءكَ ممطرةٌ..
وطريقُكَ مسدودٌ.. مسدود

---

[35] – غناء عبد الحليم حافظ.

فحبيبةُ قلبكَ.. يا ولدي
نائمةٌ في قصرٍ مرصود
والقصرُ كبيرٌ يا ولدي
وكلابٌ تحرسُهُ.. وجنود
وأميرةُ قلبكَ نائمةٌ..
من يدخُلُ حُجرتها مفقود..
من يطلبُ يَدَها..
من يَدنو من سورِ حديقتها.. مفقود
من حاولَ فكَّ ضفائرها..
يا ولدي.. مفقودٌ.. مفقود
بصَّرتُ.. ونجَّمت كثيراً
لكنّي.. لم أقرأ أبداً
فنجاناً يشبهُ فنجانك
لم أعرف أبداً يا ولدي..
أحزاناً تشبهُ أحزانك
مقدُورُكَ.. أن تمشي أبداً
في الحُبِّ.. على حدِّ الخنجر
وتَظلَّ وحيداً كالأصداف
وتظلَّ حزيناً كالصفصاف
مقدوركَ أن تمضي أبداً..
في بحرِ الحُبِّ بغيرِ قُلوع
وتُحبُّ ملايينَ المرّاتِ..
وترجعُ كالملكِ المخلوع..

كلمات[36]

يُسمعني.. حـــينَ يراقصُني
كلماتٍ ليست كالكلمات
يأخذني من تحـتِ ذراعي
يزرعني في إحدى الغيمات
والمطـرُ الأســودُ في عيني
ينساقـطُ زخاتٍ.. زخات
يحملـني معـهُ.. يحملـني
لمسـاءِ وردي الشُـرفـات
وأنا.. كالطفلـةِ في يـدهِ
كالريشةِ تحملها النسمـات
يحمـلُ لي سبعـةَ أقمـارٍ
بيديـهِ وحُزمـةَ أغنيـات
يهديني شمسـاً.. يهـديني
صيفاً.. وقطيـعَ سنونوّات
يخـبرني.. أني تحفتـهُ
وأساوي آلافَ النجمات

---

[36] – غنام ماجدة الرومي

و بأنـــي كنـــزٌ... وبأني
أجملُ ما شاهدَ من لوحات
يروي أشيـــاءَ تدوخـــني
تنسيني المرقصَ والخطوات
كلماتٍ تقلـــبُ تاريخي
تجعلني امرأةً في لحظـــات
يبني لي قصـــراً من وهـــمٍ
لا أسكنُ فيهِ سوى لحظات
وأعودُ.. أعودُ لطـــاولـــتي
لا شيءَ معي.. إلا كلمات...

تدريبات

س1- حاول قراءة القصائد السابقة؛ بعيداً عن تذكر مَن غناها، ثم احصر الإضافات التي قدمها الغناء واللحن.

س2- افتتح الشاعر قباني نصوصه بفعل الأمر للمرأة... ما دلالة ذلك وما فائدته للنص؟

س3- تحمل القصائد السابقة حكايات تشكل عمادها الرئيس... ما دور الحكاية في القصيدة المغناة، وهل تساعد على أن يتابع المستمع عوالم الأغنية؟

س4- يشكل موضوع الحب وعلاقة الرجل بالمرأة المكون الرئيس لأشعار نزار قباني، بخاصة القصائد المغناة... هل يحقق لها ذلك جماهيرية أكبر؟ ما هي العوامل التي تجعل النص الشعري مقبولاً عند الجمهور...؟

س5- حمل النص الأخير (كلمات) دلالات مباشرة وغير مباشرة، واتسم بالعمق... حاول أن توازنه مع نص من النصوص السابقة، وأن تدوّن الفروق الرئيسية بينهما على المستوى الفني.

س6- بين بداية القصيدة/ القصة ونهايتها أحداث... هل انسجمت البدايات مع النهايات؟ كيف؟

س7- اقرأ المقطع التالي بتمعن، ثم أجب عن الأسئلة التالية له:

لم أعرف أبداً يا ولدي..
أحزاناً تشبهُ أحزانك
مقدُورُكَ.. أن تمشي أبداً
في الحُبِّ.. على حدِّ الخنجر
وتَظلَّ وحيداً كالأصداف
وتظلَّ حزيناً كالصفصاف

مقدورِكَ أن تمضي أبداً..
في بحرِ الحُبِّ بغيرِ قُلوع
وتُحبُّ ملايينَ المرّاتِ...
وترجعُ كالملكِ المخلوع..

- أعرب الكلمات التي وضع تحتها خط.
- علل سبب كتابة الهمزة فيما يأتي:

أحزاناً تشبهُ أحزانك
مقدُورِكَ.. أن تمشي أبداً.

- ورد في المقطع تركيب(حد الخنجر) وتركيب (تحب ملايين المرات) هل قصد الشاعر المعنى الحرفي أم المعنى المجازي؟ وازن بينهما...
- أفاد الشاعر من التشبيه عبر التعويل على ذاكرة المتلقي، ما الرابط بين الصفصاف والملك المخلوع والأصداف...؟
- هل يعتمد الشاعر في بناء صوره على المحسوس أكثر من المجرد ولماذا؟
- استذكرْ من التاريخ اسم ملك تم خلعه؟ ولماذا؟

جامعة دمشق Damascus University

الجدارية[37] محمود درويش[38]

هذا هو اسمك /
قالتِ امرأة،
وغابتْ في الممر اللولبي
أري السماء هناك في متناولِ الأيدي.
ويحملني جناح حمامة بيضاء صوْب
طفولة أخري. ولم أحلمْ بأني
كنت أحلم. كل شيء واقعي. كنت
أعلم أنني ألْقي بنفسي جانبا
وأطير. سوف أكون ما سأصير في

---

[37] – أداها الفنان بشار زرقان.

[38] - هو محمود سليم حسين درويش شاعر فلسطيني، ولد عام 1941 في قرية البروة وهي قرية فلسطينية تقع في الجليل قرب ساحل عكا، اعتقل من قبل السلطات الإسرائيلية مرارا بدأ من العام 1961 بتهم تتعلق بتصريحاته ونشاطه السياسي وذلك حتى عام 1972 حيث توجه إلى للاتحاد السوفييتي للدراسة، وانتقل بعدها لاجئا إلى القاهرة في ذات العام حيث التحق بمنظمة التحرير الفلسطينية، ثم لبنان حيث عمل في مؤسسات النشر والدراسات التابعة لمنظمة التحرير الفلسطينية، استقال من اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير احتجاجاً على اتفاقية أوسلو.

في الفترة الممتدة من سنة 1973 إلى سنة 1982 عاش في بيروت وعمل رئيساً لتحرير مجلة "شؤون فلسطينية"، وأصبح مديراً لمركز أبحاث منظمة التحرير الفلسطينية قبل أن يؤسس مجلة "الكرمل" سنة 1981. ترك بيروت سنة 1982 بعد أن غزا الجيش الإسرائيلي بقيادة شارون لبنان وحاصر العاصمة بيروت لشهرين وطرد منظمة التحرير الفلسطينية منها. أصبح درويش "منفياً تائهاً"، منتقلاً من سورية وقبرص والقاهرة وتونس إلى باريس... صدرت أعماله في ديوان بعد أن صدرت في مجموعات شعرية منفصلة، رحل عام 2008.

الفلك الأخير.

وكلّ شيء أبيض،
البحر المعلق فوق سقف غمامةٍ
بيضاء. واللا شيء أبيض في
سماء المطْلق البيضاء. كنْت، ولم
أكن. فأنا وحيد في نواحي هذه
الأبدية البيضاء. جئت قبيْل ميعادي
فلم يظْهرْ ملاك واحد ليقول لي:
((ماذا فعلت، هناك، في الدنيا ؟))
ولم أسمع هتاف الطيبين، ولا
أنين الخاطئين، أنا وحيد في البياض،
أنا وحيد "

لاشيء يوجعني على بابه القيامة،
لا الزمان ولا العواطف. لا
أحس بخفةِ الأشياء أو بثقل
الهواجس. لم أجد أحدا لأسأل:
أين ((أينَي)) الآن ؟ أين مدينة
الموتى، وأين أنا ؟ فلا عدم
هنا في اللا هنا في اللازمان،
ولا وجود

وكأنني قد مت قبل الآن
أعرف هذه الرؤيا، وأعرف أنني
أمضي إلي ما لست أعرف. ربّما
ما زلت حيا في مكانٍ ما، وأعرف
ما أريد
سأصير يوما ما أريد

سأصير يوما فكرة، لا سيف يحملها
إلي الأرضِ اليبابِ، ولا كتاب "
كأنها مطر علي جبلٍ تصدّع من
تفتح عشْبة ،
لا القوة انتصرتْ
ولا العدل الشريد
سأصير يوما ما أريد

سأصير يوماً طائراً، وأسل من عدمي
وجودي. كلما احترق الجناحانِ
اقتربت من الحقيقةِ، وانبعثت من
الرماد. أنا حوار الحالمين، عزفْت
عن جسدي وعن نفسي لأكْمِل
رحلتي الأولي إلي المعني، فأحْرقني
وغاب. أنا الغياب. أنا السماوي
الطريد.

سأصير يوماً كرمة،
فليعتصرني الصيف منذ الآن،
وليشرب نبيذي العابرون علي
ثريات المكان السكري !
أنا الرسالة والرسول
أنا العناوين الصغيرة والبريد
سأصير يوما ما أريد

هذا هو اسمك /
قالتْ امرأة،
وغابتْ في ممر بياضها.
هذا هو اسمك، فاحفظِ اسْمك جيّدا !
لا تختلفْ معه على حرفي
ولا تعْبأ براياتِ القبائلِ،
كنْ صديقا لاسمك الأفقي
جربْه مع الأحياء والموتي
ودربْه علي النطْق الصحيح برفقة الغرباء
واكتبْه علي إحدى صخور الكهف،
يا اسمي: سوف تكبر حين أكبر
سوف تحملني وأحملك
الغريب أخ الغريب

الساحل السوري من طول المسافة،
واحترقْن بشمس آب. رأيتهنّ على
طريق النبع قبل ولادتي. وسمعت
صوتَ الماء في الفخّار يبكيهنّ:
عدْن إلي السحابة يرجعِ الزمن الرغيد

قال الصدى:

لاشيء يرجع غير ماضي الأقوياء
على مسلات المدى "ذهبية آثارهمْ
ذهبية ورسائلِ الضعفاء للغدِ،
أعْطِنا خبْز الكفاف، وحاضرا أقوى.
فليس لنا التقمص والحلول ولا الخلود

قال الصدى:

وتعبت من أملي العضال. تعبت
من شرك الجماليات: ماذا بعد
بابل؟ كلما اتضح الطريق إلى
السماء، وأسقر المجهول عن هدفٍ
نهائي تفشي النثر في الصلوات،
وانكسر النشيد
خضراء، أرض قصيدتي خضراء عالية "

تطل علي من بطحاء هاويتي
غريب أنت في معناك. يكفي أن
تكون هناك، وحدك، كي تصير
قبيلة
غنيت كي أزن المدى المهدور
في وجع الحمامةِ،
لا لأشْرح ما يقول الله للإنسان،
لست أنا النبي لأدعي وحْياً
وأعلن أن هاويتي صعود[39].

[39] - اكتفينا بهذه المقاطع نظراً لطولها، وهي مجملة كتابة وغناء وأحياناً بصوت الشاعر نفسه، كما معظم القصائد الواردة على الانترنت.

أحنّ إلى خبز أمي... [40]

أحنُّ إلى خبز أمي
وقهوةِ أمي
ولمسةِ أمي..
وتكبر فيَّ الطفولةُ
يوماً على صدر يومِ
أعشق عمري لأني
إذا متُّ
أخجل من دمع أمي!
خذيني.. إذا عدتُ يوماً
وشاحاً لهدبكْ
وغطي عظامي بعشبٍ
تعمَّد من طهر كعبكْ
وشدّي وثاقي..
بخصلة شعرِ..
بخيطٍ يلوّح في ذيل ثوبكْ..
ضعيني إذا ما رجعتُ
وقوداً بتنور نارِكْ
وحبل غسيل على سطح دارِكْ
لأني فقدت الوقوف
بدون صلاةِ نهارِكْ

---

[40] - غناها مارسيل خليفة.

هرمتُ فردّي نجوم الطفولة
حتى أشارك
صغار العصافير..
درب الرجوع..
لعُشٍّ انتظارك!!
ردّي نجوم الطفولة
حتى أشارك صغار العصافير
درب الرجوع..
لعش انتظارك!!

جامعة دمشق Damascus University

تدريبات

س-1 عُرف محمود درويش بتركيزه على الجانب الإنساني في نصوصه، وحديثه عن العوالم من خلال التجربة والمعاناة... أين تجد ذلك في النصوص السابقة؟

س2- شكل الحنين غير البكائي، بل الحنين الدرامي محوراً رئيسياً في شعر محمود درويش... حاول البحث في أسباب ذلك....

س3- تحدث محمود درويش عن قضية الأرض بصفتها وطناً وملاذاً وحاجة.... أشر إلى موضعين حملا هذه الدلالة في النصوص السابقة.

س4- تشكل عناوين نصوص محمود درويش جوازات مرور إلى نصوصه... تحدث عن ذلك في النصوص السابقة.

س5- تمعّن في المقطع التالي، ثم أجب عن الأسئلة التي تأتي بعده:

سأصير يوماً فكرة. لا سيف يحملها
إلى الأرض اليباب، ولا كتاب
كأنها مطر على جبل تصدع من
تفتح عش
بة
لا القوة انتصرت
ولا العدل الشريد
سأصير يوماً ما أريد

- كيف يتحول الإنسان إلى فكرة، وهل تحتاج الفكرة إلى القوة لكي تعيش؟
- هل في هذه الأمنية هروب من الواقع أم لجوء إلى الخيال؟
- إذا لم تنتصر القوة أو العدل فمن سينتصر؟

- هل يتصدع الجبل من تفتح العشب؟ ما المراد بذلك؟
- (الأرض اليباب) عنوان قصيدة للشاعر إليوت... عد إلى تلك القصيدة وحاول أن تجد الأسباب التي جعلت درويش يوظفها؟ وهل من تشابه بين النصين؟

س6- تدخل قصيدة (أحن إلى خبز أمي) فيما يمكن أن يدعى (شعر التفاصيل اليومية) ما سمات تلك القصيدة؟

س7- استذكر نصاً شعرياً تحدث عن الأم، ووازنه فنياً ودلالياً مع نص درويش.

س8- اقرأ المقطع التالي وحاول البحث في دلالاته الكامنة وعلاقته بالأم الرمز:

ردّي نجوم الطفولة
حتى أشارك صغار العصافير
درب الرجوع...
لعش انتظارك!!

أنشودة المطر[41]

بدر شاكر السياب[42]

عيناكِ غابتا نخيلٍ ساعةَ السحر
أو شرفتانِ راحَ ينأى عنهُما القمر
عيناكِ حين تبسمانِ تُورقُ الكروم
وترقصُ الأضواءُ.. كالأقمارِ في نهر
يرجُّهُ المجذافُ وَهْناً ساعةَ السحر...
كأنّما تنبُضُ في غوريهما النجوم

= = =

وتغرقان في ضبابٍ من أسىً شفيف
كالبحرِ سرَّحَ اليدينِ فوقَهُ المساء
دفءُ الشتاءِ فيه وارتعاشةُ الخريف
والموتُ والميلادُ والظلامُ والضياء
فتستفيقُ ملء روحي، رعشةُ البكاء
ونشوةٌ وحشيةٌ تعانق السماء
كنشوةِ الطفلِ إذا خاف من القمر

= = =

---

41 – غناها المطرب محمد عبده.

42 - بدر شاكر السياب 1026-1964 شاعر عراقي، ولد بقرية جيكور جنوب شرق البصرة ثم انتقل إلى بغداد فدخل دار المعلمين العالية، والتحق بفرع اللغة العربية، ثم الإنجليزية .ومن خلال تلك الدراسة أتيحت له الفرصة للاطلاع على الأدب الإنجليزي بكل تفرعاته، عمل مدرساً للغة الإنجليزية في إعدادية الرمادي ولكنه طرد منها ثم سجن بسبب معتقداته السياسية، من رواد شعر التفعيلة، له ديوان شعري، وظف فيه الأسطورة والرمز...

كأنّ أقواسَ السحابِ تشربُ الغيوم..
وقطرةٌ فقطرةٌ تذوبُ في المطر...
وكركرَ الأطفالُ في عرائش الكروم
ودغدغت صمتَ العصافيرِ على الشجر
أنشودةُ المطر
مطر
مطر
مطر
= = =
تثاءبَ المساءُ والغيومُ ما تزال
تسحّ ما تسحّ من دموعها الثقال:
كأنّ طفلاً باتَ يهذي قبلَ أنْ ينام
بأنّ أمّه – التي أفاقَ منذ عام
فلم يجدْها، ثم حين لجَّ في السؤال
قالوا له: "بعد غدٍ تعود" –
لا بدّ أنْ تعود
وإنْ تهامسَ الرفاقُ أنّها هناك
في جانبِ التلِ تنامُ نومةَ اللحود،
تسفُ من ترابها وتشربُ المطر
كأنّ صياداً حزيناً يجمعُ الشباك
ويلعنُ المياهَ والقدر
وينثرُ الغناء حيثُ يأفلُ القمر
مطر، مطر، المطر
= = =

أتعلمين أيَّ حزنٍ يبعثُ المطر؟
وكيف تنشجُ المزاريبُ إذا انهمر؟
وكيف يشعرُ الوحيدُ فيه بالضياع؟
بلا انتهاء_ كالدمِ المُراق، كالجياع كالحبّ كالأطفالِ كالموتى –
هو المطر
ومقلتاك بي تطيفان مع المطر
وعبرَ أمواجِ الخليجِ تمسحُ البروق
سواحلَ العراق
بالنجومِ والمحار،
كأنها تهمُّ بالشروق
فيسحبُ الليلُ عليها من دمٍ دثار
= = =
أصيحُ بالخليج: "يا خليج
يا واهبَ اللؤلؤ والمحارِ والردى"
فيرجع الصدى كأنّهُ النشيج:
"يا خليج: يا واهب المحار والردى"
= = =
أكادُ أسمعُ العراقَ يذخرُ الرعود
ويخزنُ البروقَ في السهولِ والجبال
حتى إذا ما فضّ عنها ختمَها الرجال
لم تترك الرياحُ من ثمود
في الوادِ من أثر
أكادُ أسمعُ النخيلَ يشربُ المطر
وأسمعُ القرى تئنّ، والمهاجرين
يصارعون بالمجاذيفِ وبالقلوع

عواصفَ الخليجِ والرعود، منشدين
مطر.. مطر.. مطر
وفي العراق جوعٌ
وينثرُ الغلالَ فيه موسم الحصاد
لتشبعَ الغربانُ والجراد
وتطحن الشوان والحجر
رحىً تدورُ في الحقولِ... حولها بشر
مطر
مطر
مطر
وكم ذرفنا ليلةَ الرحيل من دموع
ثم اعتللنا – خوفَ أن نُلامَ – بالمطر
مطر
مطر
ومنذ أن كنّا صغاراً، كانت السماء
تغيمُ في الشتاء
ويهطل المطر
وكلّ عامٍ – حين يعشبُ الثرى– نجوع
ما مرّ عامٌ والعراقُ ليسَ فيه جوع
مطر
مطر
مطر
= = =
في كلّ قطرةٍ من المطر
حمراءُ أو صفراءُ من أجنّة الزهر

وكلّ دمعةٍ من الجياعِ والعراة
وكلّ قطرةٍ تُراقُ من دمِ العبيد
فهي ابتسامٌ في انتظارِ مبسمٍ جديد
أو حلمةٌ تورّدتْ على فمِ الوليد
في عالمِ الغدِ الفتيّ واهبِ الحياة
مطر
مطر
مطر
سيعشبُ العراقُ بالمطر
= = =
أصيحُ بالخليج: "يا خليج..
يا واهبَ اللؤلؤ والمحار والردى"
فيرجع الصدى كأنه النشيج:
"يا خليج: يا واهب المحار والردى"

وينثرُ الخليجُ من هباته الكثار
على الرمال، رغوةَ الأجاج، والمحار
وما تبقى من عظام بائس غريق
من المهاجرين ظل يشرب الردى
من لجة الخليجِ والقرار
وفي العراق ألف أفعى تشرب الرحيق
من زهرة يربّها الفرات بالندى
= = =

وأسمعُ الصدى
يرنّ في الخليج:
مطر
مطر
مطر
= = =
في كل قطرةٍ من المطر
حمراءُ أو صفراءُ من أجنةِ الزهر
وكلّ دمعةٍ من الجياعِ والعراة
وكل قطرةٍ تُراق من دمِ العبيد
فهي ابتسامٌ في انتظارِ مبسمٍ جديد
أو حلمةٌ تورّدت على فمِ الوليد
في عالمِ الغدِ الفتي، واهبِ الحياة
= = =
ويهطلُ المطرُ.

تدريبات

س1- يعد هذا النص من النصوص الدرامية، وليس من النصوص ذات الطابع الغنائي، ما مدى ملاءمة هذا النص للغناء؟ وماذا أضاف اللحن له؟

س2- ثمة روح أسطورية تسري في هذا النص، اذكر بعض دلالات حضورها.

س3- يعد الرمز من العناصر التي يعتمد عليها الشعر، هل شكل الرمز في النص عائقاً في وجه وصول الدلالة للمتلقي؟

س4- ثمة حضور لافت للمكان في النص...تحدث عن بعض سماته، ثم حاول البحث في ارتباط النص بزمان كتابته...!

جامعة دمشق Damascus University

الفصل الثالث

الحوار

(الثقافي والأدبي والسياسي والفني...)

وقل رب زدني علما
جامعة دمشق
Damascus University

وقل رب زدني علما
جامعة دمشق
Damascus University

الحوار

الحوار، لغة، الإجابة والمجادلة، وهو النقاش بين شخصين للوصول إلى نتيجة حول موضوع معين. وغالباً ما يكون الحوار بين طرفين بينهما أمور مختلفة ووجهات نظر متعددة حول موضوع معين يحتاجان إلى الحوار للوصول إلى المشترك.

ويقدّم الحوار أدلة على التطور الذي صنع ثقافة حضارية أحلّت الحوار بدلاً من الصراع والاختلاف. إذ عدا الحديث عنه في السنوات الأخيرة مؤشراً على ما وصلت إليه البشرية من تطور وتقدم، نبذت من خلاله العنف والاختلاف وأحلّتْ بدلاً منه الحوار. وحين أُصدر هنتنغتون كتابه الشهير (صراع الحضارات)[43] كُتِبَتْ كتب عدة تدعو إلى نبذ هذه الثقافة، والاستعاضة عنها بالحوار.

والحوار بقدر كونه ضرورة أحياناً فإنه حاجة كذلك، وتربية وثقافة، وثمة أمم يشكل الحوار مكوناً رئيسياً فيها، وثمة أمم تفضل ثقافة الإقصاء، وهذا ينطبق على مستوى الأفراد والجماعات البشرية.

ويشي الحديث عن الحوار بأن الطرفين يملكان مرونة للوصول إلى نتيجة محددة، والحوار في تجلياته الصحفية والإعلامية يشير إلى طرف يسأل وطرف يجيب، حيث يمتلك الطرف المجيب رؤى فكرية وثقافية وسياسية، يستنفرها الطرف السائل، وتشفُّ عن رؤاه التي يحمل بعضها تفاصيل مخفيّة إذا ما كان الأمر يخص فناناً أو كاتباً يهتم الناس بتفاصيله الحياتية، وفي الوقت الذي تتجه فيه بعض الحوارات للتركيز على الشخصي وتنشغل فيه، تكشف الحوارات الفكرية عن أفكار مهمة، قد تحلّل ظواهر اجتماعية وفكرية وثقافية وسياسية تشغل المجتمع، وتشكل ناظماً لبعض تفاصيله.

---

[43] – صدرت ترجمته إلى العربية.

والحوار قد يكون أحياناً بين عدة أطراف ليس من الضروري أن تكون مختلفة، بل تملك وجهات نظر حول موضوع معين يسهم الحوار في كشف هذه الرؤى، أو يضيئها، أو يسهم في تغيير بعضها.

ولئن كان الحوار يعتمد على الأسئلة والأجوبة؛ فإنه لايشي بأن الإجابة هي معلومة، بل غالباً ما تكون تحليلاً ورؤية تنم على خصوصية تولّدت نتيجة الخبرة أو المعرفة أو الوعي.

وقد ذهب الزمن الذي كان يُعتقد فيه أن الحوار لكي يكون قريباً من الناس يجب أن يتوسل باللهجة العامية، فقد أثبتت الأيام والتجارب أن الحوار الأمثل يجب أن يكون بالفصحى، لكي يصل إلى شريحة كبيرة من الناس، والحوار كما هو معلوم المكون الرئيس لفن المسرح، وكذلك يحضر في الرواية والقصة القصيرة ليقوم بأدوار عدة من مثل إبراز خصوصية الشخصيات، وتطورها، وفكرها، وما تؤمن به.

تتنوع صور الحوار في عالمنا المعاصر بين الصحفي والتلفزيوني والإذاعي حيث يترك نوع الوسيلة أثره على تفصيلات الحوار، وإن كان لايمس جوهر التفكير، ويسهم الحوار في إبراز جوانب منسية في حياة الشخصيات ونواظمها الفكرية وثوابتها ورؤاها.

حوار

مع الأستاذ الجامعي والناقد الموسوعي نعيم اليافي

المحور الأول: المثقف يجيب عن أسئلة الأمة[44]

*** كيف نصل إلى الحرية الحقيقية؟**

**الحرية الحقيقية هي الحرية الملتزمة بأهداف الأمة، إذ لا توجد حرية مطلقة، الحرية المطلقة التي تعبر عن نوازع الفرد كيفما شاء ومتى شاء، وهي الموجودة في الغاب.

الحرية الحقيقية حريتان منذ القدم، هما أمانة في عنق الإنسان، العدالة والحرية، وأقصد بالحرية الحرية الديمقراطية، الإيمان بالآخر والتعبير عن الآخر، وأنا برأيي، أن الحرية تبدأ من وعي المثقف ووعي دوره، لنعد، مرة ثانية إلى قضية الفرد ووعي المثقف والنضال، وأنا الآن، في صراع مع السلطة، أو في صراع مع القهر أو في صراع مع المؤسسات، ما هو دوري؟ المؤسسات تريد أن

---

* - الدكتور نعيم اليافي (1936-2003) مفكر وناقد استطاع عبر ما يزيد على ثلاثين سنة تكوين اتجاه فكري يتأسّس على الحوار والتعدّد والديمقراطية، ونجح في بلورة رؤاه وأفكاره ومنهجه ورؤيته من خلال عدد من المنطلقات النظرية والأدوات المعرفية والشروط والقضايا عبر محاضراته التي ألقاها في مختلف أرجاء الوطن العربي استطاع أن يقرّب كثيراً من وجهات النظر، ويحدّد نقاط التلاقي والتحاور والتلاقح، وجعل ذلك له جموعاً عديدة من الطلاب والأصدقاء يحاورهم ويعلمهم ويتعلّم منهم، كما يقول هو ذاته.
وقد أنتج خلال هذه المرحلة الطويلة مئات المقالات الأدبية والفكرية نشرها في مختلف دوريات الوطن العربي، إضافة إلى أكثر من عشرين كتاباً في قضايا الفكر والنقد المختلفة منها:الشعر بين الفنون الجميلة، الشعر العربي الحديث، مقدمة لدراسة الصورة الفنية، تطور الصورة الفنية في الشعر العربي الحديث، وضع المرأة بين الضبط الاجتماعي والتطور، الحب من النظرة الثالثة، مجازر الأرمن، أوهاج الحداثة، مرايا المتخالف، حركة الإصلاح الديني في عصر النهضة، مفهوم الجامعة، الشعر والتلقي، أطياف الوجه الواحد.

44 – هذه الحوارات جزء من كتاب رحلة إلى الأعماق، دمشق، 2000. وأجرى الحوار د.أحمد جاسم الحسين، صحيفة الكفاح العربي، العدد 1940، السبت 1998/3/28.

تقهرني، تريد أن تكتم أنفاسي، أنا أمام أحد أمرين، إما أن أقول أو لا أقول، وبالنسبة إلي أفضل أن أقول، فإذن، الطليعة الثقافية مهمة، والآن يأتي دورها ويجب أن تناضل وتضحي، وبدون طليعة ثقافية ووعي ثقافي لا يمكن فعل شيء... وأنتهي إلى القول: إن الثقافة، بالدلالة الوظيفية العضوية للكلمة، هي المحافظة باستمرار على استراتيجيات الأمة.

***تواجه الأمة العربية في هذا العقد عملية تسويق المعارف والمعلومات، ولهذا ترى الهوية العربية مهددة بالخطر، كيف يمكن لنا أن نتصدى لهذه العملية؟**

**عصرنا الحالي[45] هو عصر المعرفة، وعصر المعلوماتية، وعصر التعدديات الثقافية، وفي نفس الوقت، وهذه هي المفارق، عصر الاستعمار صاحب القرن الوحيد، أي الاستعمار الأمريكي والنظام الأمريكي الجديد، الذي يريد أن يلغي التعدديات الثقافية وهويات الأمم بفرض نمط معين من الحداثة أو من الثقافة أو من «الحضارة» ليقول لنا: لا يمكن أن تصلوا إلى الحضارة إلا عبر هذا الطريق، وهذا السهم، وهذا الاتجاه، في حين أن التعددية الثقافية هي التي تحفظ هويات الأمم، وأنا من هؤلاء الذين يؤمنون بالتعدديات الثقافية، وفي ظل هذا الصراع بين وحدانية الاتجاه المفروض من الاستعمار، والتعدديات الثقافية التي تؤمن بها الأمم، لا بد أن يكون للثقافة دور الوعي ودور التمسك، ودور الحفاظ على الهوية، وأقول الهوية، فالهوية ليست «دمغة» ثابتة كأنها مطبوعة على جلد الماعز، الهوية معنى متحرك في الزمان والمكان، أنا عربي صحيح، أنا مسلم صحيح، لكن معنى إسلامي ومعنى عروبتي يتكيف وفق تطور التاريخ، ومن هنا تبرز هويتي، فقد تكون عيناي عسليتين أو خضراوين أو سوداوين، فليس من

---

[45] – لابد من الأخذ بعين الاعتبار أن هذه الحوارات أجريت في عقد التسعينات من القرن الماضي، لذا يجب التنبه إلى تأثرها بسياقاتها.

الضرورة لكي أكون صاحب هوية عربية بأن أملك عينين سوداوين، فإن هناك تطويراً لمعنى الهوية، ولكن تبقى الشخصية الثقافية بالمعنى العام، هي الباقية إلى أبد الآبدين، والهوية العربية مهددة مرتين، مرة من الداخل، ومرة من الخارج.

وجود المجتمع الاستهلاكي تهديد للهوية العربية، الشرذمة على مستوى الوطن العربي تهديد للهوية العربية، والانفتاح وتطبيع العلاقات مع «إسرائيل» وإنشاء السوق الشرق أوسطية محل الوطن تهديد للهوية العربية.

- **من صور الضياع... فقدان معرفة المنابع الثقافية للأجيال المعاصرة...ما الحل؟**

**أهم منبع من المنابع الثقافية للجيل الشاب واقعياً هي التجارب، ويجب أن يعيش الشاب تجربته الفكرية وغير الفكرية بكل أعماقها، فأهم مصدر من مصادر أدب الشباب وثقافتهم هي الحياة.

كما يجب على هؤلاء الشباب أن يتثقفوا ثقافة سنأخذها إلى جانب الحياة من الكتب ومن تجارب الآخرين ومن التقدم العلمي المطروح عالمياً ومحلياً، هذه الثقافة ليست ثقافة تراثية فقط أو ثقافة غربية فقط، وأنا أطلب من الشباب أن يقرؤوا كل شيء ومن ثم يرفضوا أو يقبلوا هم أحرار.

سطوة الأفكار المكتوبة لا تؤثر إلا على الجاهلين، أما الإنسان الذي يعد نفسه هو الذي يرفض أو يقبل، والقراءة الصحيحة هي الحوار مع الأفكار «لا قبول شامل ولا رفض شامل».

س- هل سيستمر الضعف العربي الذي أوجد «إسرائيل» ودفع بها إلى توسيع سيطرتها ونفوذها؟

**أريد أن أبدأ بالمشكلة الإسرائيلية ــ العربية ليس من وعد بلفور، وإنما من عام 1839 تحديداً، في تلك السنوات، استطاعت دولة محمد علي أن تمد

حدودها إلى حدود الدولة العربية، وتلتقي مع الأجنبي في معركة شهيرة جداً وهي معركة نصيبين، والتي تقع في جنوب تركيا الآن.

في تلك المعركة، تنبه الغرب أيامها (روسيا، فرنسا، إنكلترا، ألمانيا) إلى خطر هذه الدولة الفتية، والتي ربطت وجودها القومي وربطت جناحي الأمة العربية (سورية، مصر) في وقت واحد، عند ذلك اجتمع الاستعمار الغربي وقرر ألا تقوم لدولة محمد علي قائمة، وفي تلك الظروف، وقف وزير الخارجية البريطاني أيامها وقال: الآن بدأت المعركة الفاصلة بين قوميتين: القومية العربية والقومية اليهودية، ويجب أن نقيم وطناً قومياً لليهود في فلسطين حتى نفصل جزئيْ الأمة العربية، كان عدد اليهود أيامها في فلسطين (4000) يهودي فقط، وفي أعقاب ذلك، نستطيع أن نطور الموقف إل مشروع للدولة اليهودية، ومؤتمر بال، ودور هرتسل، ثم وعد بلفور...

فإسرائيل لم تقم فقط على أنقاض الضعف العربي، وإنما قامت كجزء من مخطط استعماري، وإضافة إلى ذلك الضعف العربي، فهناك عاملان جوهريان لإقامة دولة «إسرائيل»:

ـ الضعف والتخاذل العربيان.

ـ انبطاح الأنظمة العربية أمام مصالحها مرة وأمام الاستعماري مرة أخرى، ثم بعد ذلك مصالح الدول الاستعمارية والدول الأجنبية، كما أثبتت حرب الخليج مرة أخرى، كل ما يطلب الآن، هو أن تكون البلاد العربية سوقاً رائجة للبضاعة الأجنبية.

*** إلى متى يظل هذا الضعف العربي؟**

**أعتقد أنه سيظل فترة من الزمن وهذا الضعف العربي مرهون بأننا لم نملك بعد إرادتنا القومية الواحدة من المحيط إلى الخليج، والاتجاه الآن، هو نحو شرذمة الوطن العربي، ونحو تشييء الإنسان العربي.

***كيف يمكن للأمة العربية، التي عاشت هذا الواقع المرير، أن تتخطى هذا الواقع وتحطم جدار الضعف؟**

**قوة الأمة العربية في المرحلة الحالية، تنبع من ثلاثة أمور:

الأمر الأول: أن تملك الأمة، أقصد بالأمة هنا الشعب وليس الأنظمة العربية، إرادتها. يكفي في المرحلة الحاضرة أن تملك الأمة إرادتها وأن لا تتنازل عن هذه الإرادة، مهما قست الصدمة، قد نخسر حرباً، وقد نخسر حروباً، فالقضية بيننا وبين «إسرائيل» صراع أجيال مستمرة.

أنا لا أذكر، الآن، الحروب الصليبية، بل أذكر جنوب إفريقيا، إلى متى استمر الاستعمار الغربي يستعمر جنوب إفريقيا؟ وكم دام التمييز العنصري في جنوب إفريقيا؟ لقد ظل أكثر من مئتي عام، وظل التمييز العنصري أكثر من (45) عاماً، ثم ماذا كانت النتيجة؟ انتصار لمصلحة الأغلبية ومصلحة الشعب.

هذه أرضنا الممتدة من النهر إلى البحر، لكن اختراق الأنظمة العربية ومصلحة الأنظمة العربية المتواطئة مع الاستعمار هما اللذان جلبا الفساد والدمار وجلبا السقوط، أملي مرهون بالمستقبل، والمستقبل هو لأمتنا وليس لهؤلاء الدخلاء.

***تكلمنا عن القوة وعن الضعف، وفي غمرة الحديث لا يمكننا أن نتجاهل دور المثقف العربي في هذه المرحلة التي يمر بها مجتمعنا العربي، حيث تبرز قضية المأزق الثقافي الموسوم بطابع الانهزامية والجمود والانطواء على الذات، في حين تعالت الأصوات التي تطالب بموقف واضح للمثقف، كيف يحدد هذا المثقف موقفه؟**

**أعتقد أن المثقف واع لأزمته، التي هي جزء من أزمة مجتمعه ومن أزمة الأنظمة الحاكمة، فأزمة المثقف ليست ناتجة عن قصور موعيه، وإنما ناتجة عن الظروف السياسية والاجتماعية والزمانية التي وجد فيها نفسه.

وأريد أن أفرق بين أنواع المثقفين:

**هناك المثقف المدجن، في كل بيئة مثل هذا المثقف موجود، وهو دائماً صوت السلطة وصوته في نفس الوقت، لأنه يتقاضى راتباً من السلطة ويريد أن يدافع عنها في كل زمان وفي كل مكان، ويتغير كالحرباء بتغير أطروحاتها، فأنا لا أعتقد هذا مثقفاً، وإنما هو عميل من عملاء السلطة.

وهناك المثقف الآخر الملتزم، وهو واحد من قسمين، إما مثقف صامت منزو يرى ولا يستبدل شيئاً، حتى الكلمة لا يستطيع أن يقدمها، وهناك المثقف الذي يعي والذي يبتعد عن السلطة، أتحدث أنا عن المثقف الواعي، والمثقف الذي يوظف ثقافته والذي يعي دوره والذي يناضل في سبيل هذا الدور، الذي يربط ثقافته بأمته وبتطلعات هذه الأمة. والمثقف منذ القديم وحتى الوقت الحاضر له صفتان:

الصفة الأولى أنه يرفض العمالة للسلطة، لذلك فهو رجل فقير، ولكن هذه المشكلة لا تسبب له إزعاجاً، والثانية أنه، طوال حياته وهو يعيش على كسرة خبز وعلى الماء دون أن يحيد عن مبادئه، فإذا هناك مثقف ملتزم بمبادئه ويدافع عن هذه المبادئ ويضحي من أجلها، وهذه الثقافة التي ينشرها المثقف العربي الموظف والمثقف لثقافته هو الحامي لاستراتيجيات هذه الأمة، أما عدا ذلك، فلا توجد ثقافة لأن الثقافة تقوم على المعرفة، بل يوجد إعلام سياسي يغسل دماغ الناس، أما الثقافة المعرفية المنشودة في الواقع، والتي يقوم بها المثقف، فغير موجودة، ليس لأن المثقف غير موجود، وإنما لأن الأنظمة العربية، على اختلافها، لا تريد وجوده، لأنها تجد تعارضاً بينه وبين وجودها، فأزمة الثقافة من أزمة الديمقراطية السائدة في المنطقة.

فلا أعتقد أنه يمكن إلا أن تقوم على وجود «الرأي والرأي المعارض»، أي قبول الآخر في حوار مستمر لإيجاد حضارة متميزة، وهذا غير ممكن.

المحور الثاني: المثقف وقضايا المرأة*

***دكتور نعيم، هل لك أن تعرف لنا المرأة بشكل علم؟ ومن هي المرأة بنظرك؟**

**المرأة هي إنسان، قيمة إنسانية قبل أن تكون قيمة استهلاكية أو سلعية، وبما أنه قيمة فهو مفهوم وتصور وثقافة... والثقافة والمفهوم والتصور ستشكل وفق الزمان والمكان.. قدر ما فيها من الثبات والماضي، وبكلمات أخرى موجزة: المرأة شقيقة الرجل، ونصفه الذي يسكن إليه في كل شيء، ولا يمكن تعريف أحدهما إلا من خلال الآخر، وهما معاً منذ أن فرقا (حسب الأسطورة اليونانية) يحن كل منهما للعودة إلى التشكل الوحداني المطلق أي الذات الأصلية لهما.

***دكتور نعيم.. ترى ما هو الطريق إلى تحرر المرأة العربية؟**

**الطريق إلى تحرر المرأة طريق شائك ومعقد لا بد أن تعبره المرأة عاجلاً، وهو ينبع مما قلته سابقاً من تحرير نظرة المرأة إلى ذاتها ونظرة الرجل إليها ونظرة البيئة الاجتماعية أيضاً، وبكلمات أخرى لا بد من تفجر العلاقات الاجتماعية وتفجر ذهن الرجل وتفجر ذهن المرأة حتى نصل إلى رتبة التحرير.

وفيما يتعلق بمستوى تفجر المرأة أركز على نقطة هامة وهي الوعي، فالوعي شرط أساسي لتحرر المرأة، وهذا الوعي الشرط فيه أن يكون وعياً إيجابياً، والوعي الإيجابي معناه التمرد والثورة، والقدرة على تحقيق الإرادة من خلال التمرد والثورة، شريطة أن يتم ذلك من خلال الدائرة الكبرى (المجتمع)، فالوعي الفردي لا قيمة له، وكذلك التمرد، إلا إذا كانا معاً في دائرة المجموعة ومن أجل هذا المجموع من أجل الآخر من أجل الوطن.

---

* أوهام العبد الله وعامر الدبك، البعث الأسبوعي، العدد2، الاثنين 1993/3/15. ونشرت في الكتاب ذاته(رحلة إلى الأعماق).

***ما المعوقات التي تعترض طريق تحرر المرأة العربية؟**

****إنها كثيرة، وكثيرة جداً، وأولى العقبات ما أسميه:**

1) البنية البطريكية (الأبوية) لطبيعة المجتمع العربي أنها ما تزال رغم التقدم الظاهري أو ما يبدو أنه تحضر ظاهري ما تزال هذه البيئة هي الغالبة والسائدة، أقصد بالبيئة الأبوية أننا ما نزال نعيش قيم العشيرة بكل ما تحمل هذه الكلمة من معنى، فرأس العشيرة هو من يملك الرعية والأرواح وهذه البيئة بعلاقاتها الإنتاجية وعلاقاتها التراتبية المسيطرة وهي المانعة.

2) العقبة الثانية هي ناتجة من العقبة الأولى عقلية الذكورة وما لم تتطور عقلية الرجل لا يمكن للمرأة أن تتحرر، صحيح أن الرجل يرفض تحرير المرأة حفاظاً وخوفاً على امتيازاته الذكرية، ولكن عليه أن يدرك أنه ما لم يتم تحرير نصف المجتمع سيعيش في وسط مقيد تشده الأغلال أكثر مما تصنعه آفاق الحرية.

3) العقبة الثالثة ما أسميه برد الفعل إزاء موضوع الحرية بالنسبة للمرأة، فبعد أن حصلت المرأة على شيء من حريتها ولم تطوره هي ذاتها نحو الأوسع والأرحب ظلت أسيرة شعارات الحرية أو وهم الحرية، الحرية ليست شعاراً يرفع، إنما هو ممارسة وتطبيقات للتنظير ودفاع عن إنسانية المرأة ليس في مواجهة الرجل كشريك بل ضده كظالم، وعندما يصبح الرجل إنساناً والمرأة إنساناً ويتساويان في رتبة الإنسانية نصل إلى المستوى المنشود.

***هل يعني هذا الكلام أن تحرر المرأة مرتبط بتحرر الرجل أولاً؟**

****أجل، شريطة أن نفهم بتحرر الرجل ليس بتحرره إزاء ذاته، وإنما بتحريره من نظرته الماضية إلى المرأة وبتحريره من امتيازاته الذكورية التي صنعها لنفسه على حساب المرأة، وأيضاً شريطة أن لا نفهم بأن المرأة ليست مسؤولة عن تحررها، قد نقول: إن الرجل كالمرأة أسير كل منهما إلى تحرير المجتمع أو تحرير البيئة الاجتماعية، وهذا صحيح، فالعملية كما قلت عملية مثلثة

ومعقدة ومتداخلة، تحرير المرأة يتوقف على تحرير الرجل وتحرير الرجل والمرأة يتوقفان على تحرير المجتمع، وتحرير المجتمع يتوقف على قيادته من الذكر والأنثى نحو الأدنى من المرتبة الإنسانية، أريد أن أقول: إن تحرير المرأة، وإن ارتهن بتحرير المجتمع وتحرير الرجل، لكن يجب ألا تنتظر المرأة تحريرها حتى يتحررا؛ بل عليها أن تقود وعيها وخطاها نحو التحرر وتعمل على صنعه وصياغته؛ بدلاً من أن تنتظره يهبط عليها من السماء، من الذكر أو المجتمع. إن المرأة مسؤولة مسؤولية مباشرة عن وضعها إلى جانب مسؤولية المجتمع والرجل.

*** المرأة هذا الكائن الرقيق والجميل...نالت جزءاً من اهتمامك وأفردت لموضوع المرأة وحريتها، والظلم الذي تعاني منه، والأزمات التي تستلبها جنسياً ونفسياً، كتابين، الأول «وضع المرأة بين الضبط الاجتماعي والتطور»، والثاني «تطور وضع المرأة في المجتمع العربي السوري»...من أين تبدأ حرية المرأة وكيف؟**

** أولاً سأعترض على صيغة السؤال إذا سمحت لي في المقدمة، فهذه الصيغة فيها إشارتان إلى الكائن الرقيق، والكائن الجميل، وأنا أعتقد بأنّ الإنسان بجنّيه الذكر أو الأنثى هو كائن جميل، وكائن رقيق، كلاهما بالنسبة إلى الآخر ووفق تطوّر العصور.

ففي الزمن القديم الإغريقي، كان الرجل هو مثال الجمال، ثمّ أصبحت المرأة، وإذاً هذه القضايا هي قضايا نسبية، فالمرأة جميلة بالنسبة إلى ذاتها وإلى الرجل، والرجل جميل بالنسبة إلى ذاته، وإلى المرأة. أمّا بالنسبة إلى ما تبع هذين المصطلحين من تقويم لمسيرة المرأة، فيمكن أن نبدأ في التمييز بين مسيرة المرأة عامّة، ومسيرة المرأة العربية أو الشرقية خاصّة.

فالمرأة العربية، والمرأة العالمية، كلتاهما عانتا عبر العصور من سيرورتهما ومن قيودهما ــ قيود المجتمع ــ ولكن بعد ذلك افترق النموذجان، أو مجتمعان، أحدهما حرر المرأة، والآخر ما تزال تعاني المرأة فيه من القيود.

وإذا سمحت لي أن أتحدّث فقط عما تعانيه المرأة العربية الإسلامية خاصة، ما دمنا نتحدّث ضمن إطار مجتمعنا وثقافتنا وبخصوصية معيّنة.

إنّني أنظر إلى المرأة كائناً إنسانياً، يتّصف بهذه الإنسانية، ويلتقي الرجل بها، ولكنّه يختلف عنها بالبنية الفيزيولوجية، وما يتبع ذلك.

أنا لا أريد أن أستبق الموضوع وأقول بنية فيزيولوجية، ونركّب على هذه البنية فروقات أدنى أو أعلى، وإنّما أريد: إنّهما يلتقيان في الإنسانية ويختلفان في النوعية، وبالتالي فهذا اللقاء في الإنسانية هو حقوق وواجبات، وعلى هذا فإنّ الحرية تنبع من هذه الصيرورة والسيرورة عبر التاريخ، ومن هذا المجال الإنساني.

الرجل مثل المرأة، وكلاهما إن أردنا ثنائية الجسد والروح، وعليه واجبات وله حقوق.

فالحرية التي أطمح بها للمرأة هي حرية الإنسان، حرية الرجل، حرية التعبير، حرية التصرف دون قيد أو شرط، إلاّ ضمن ثقافة معينة، وضمن وعي معين، وأن تكون هي كالرجل مسؤولة عن هذه الحرية.

حرية كل إنسان تنبع من وجوده ومن مجتمعه، ومن شخصيته، ومن صيرورته، وضمن هذه الأمور يمكن أن نصوغ للمرأة حريتها، في مجتمع الرجل الشرقي، مثلما نصوغ للرجل حريته، ولا فرق إطلاقاً.

تجيء بعد ذلك القيود وهيمنة الذكر، وبعض الأعراف والتقاليد، وما يفسّر في ضوئه الدين من وجهة نظر معينة تخدم فيها حقّ الرجل الديك، وبالتالي، كلّ هذه الأمور أخيراً تصبّ في مواجهة ضدّ المرأة، فنقول إنّ المرأة لها حرية

محدودة وإن الرجل له حرية أوسع بكثير. إذاً أريد أن أقول: إنّ حرية المرأة تنبع من ذاتها، من كينونتها من مجتمعها، من ثقافتها، من ماهيّتها، من دون حدود كالرجل أبداً.ما يباح له يمنعه عليها

*** تقول دكتور في كتابك السالف الذكر: (إنّ درجة حرية المرأة تحدّد بصورة تلقائية درجة حرية المجتمع، وترتبط بها في الوقت نفسه)، ويقول مصطفى حجازي: (إنّنا نستطيع أن نحدّد مدى ارتقاء مجتمع ما دون خطأ كبير انطلاقاً من وضعية المرأة فيه، ومدى ما بلغته من تحرّر)، ألا ترى أنّ الارتقاء بالمجتمع رهن بكفالة أفراده ولكي تتحرّر المرأة لا بدّ أن يكون المجتمع حراً، والرجل حراً من تخلّفه.**

** أنا أطرح أموري من خلال مفهوماتي ولا أنظر للرجل على أنه دائرة مستقلة، ولا أنظر للمرأة على أنا دائرة مستقلة ولا أنظر للطرفين على أنّهما في عراك ضدّ بعضهما، وضدّ المجتمع،

عندما أقول درجة حرية المجتمع تقاس بدرجة حرية المرأة أعني بذلك أنّ الرجل يجب أن يكون متحرراً، لأنه لا توجد حرية للمرأة في مجتمع فيه الذكر مستلب.

الحرية للذكر والأنثى وللإنسان وللمجتمع، أنا ضمن هذه الحريات أناقش قضاياي، الحرية للمرأة كاملة وللرجل كاملة والعلاقة بينهما (ليس فقط العلاقة الجنسية) إنما العلاقة الإنسانية بينهما، لأنّ المجتمع الحر يفرز أفراداً أحراراً، والأفراد الأحرار يصنعون مجتمعاً حراً، وبالتالي فالعملية جدلية ومتداخلة.

أنا ضدّ الماركسيين عندما يقولون: من أجل تحرير المرأة يجب أن ننتظر تغيير البنية الاقتصادية، فما مهمتي أنا كمثقف عندما تتغيّر البنية التحتية، وبالتالي تتغير البنية الفوقية؟ مهمّتي الآن كما في المستقبل، أنا أحرّض على تغيير البنية التحتية والفوقية معاً، والعملية متداخلة.

*** ما رأيك بالاستنتاج الذي استنتجه مصطفى حجازي وهو (إنّ ظلم الرجل للمرأة ليس إلاّ تعويضاً لظلم المجتمع للرجل، وإنّ القهر الذي يفرضه الرجل على المرأة يتناسب مع درجة القهر الذي يخضع له الرجل).**

** هذا الكلام إلى حدّ ما معقول، لأنه ينظر إلى العملية ضمن هذا المجتمع الشرقي المستبدّ، الذي يبدأ من حاكم فرد يستبدّ بشعبه، وأعوان حوله يحاولون أن يستبدّوا بطبقة أخرى، وبالتالي السلطة مستمرة، الرجل يستبدّ بأسرته، المرأة تستبدّ بابنتها، وهكذا، العملية متداخلة جداً، لكن هذا لا يعني إطلاقاً ــ وأرجو أن يكون ذلك واضحاً ــ أنّ اضطهاد الرجل للمرأة هو نتيجة اضطهاد المجتمع للرجل فقط، فالرجل يدافع عن حقّه التاريخي بشكل من الأشكال، فالرجل يضطهد المرأة لعدّة أسباب:

ــ إنّه يعتقد أنّها ملك له أو جزء من متاعه، يتصرّف به كيف يشاء.

ــ بسبب عقليته الذكورية وعقلية الديك.

ــ لاعتقاده أنّ الدين على اختلاف مذاهبه إسلامياً ومسيحياً يجعل الرجل سيّد المرأة.

***فقط التركيبة الموجودة هي التي تدفع الرجل لأن يضطهد، فالرجل لا يضطهد المرأة فقط، بل يضطهد أحياناً ابنه، وأحياناً ابنته أكثر من ابنه، لأنه يعتقد أنّ ابنه هو استمرار لذكورته وفحولته، وله، في حين أنّ الابنة هي استمرار لأمّها.**

فالعملية عملية تاريخية وترتبط بما يسمى بالاستبداد الشرقي المتأصّل فينا لأسباب كثيرة جداً، وهذه القضية قضية عامّة من القاعدة إلى القمة، استبداد لا يصدق كلّ شيء ضمن هذه الصورة، صورة الاستبداد.

**أولاً أريد أن أبدأ بتحديد مفهوم الجنس لديّ، أنا لا أعني بالجنس عندما أستخدمه في كتبي هذا المعنى الضيق للمفردة، أي العلاقة الميكانيكية بين الذكر

في التنمية ومستوى المشاركة الفعلية في رتبة الإنسانية، ولكن عمل المرأة يحتاج إلى ظروف تسبق هذا أو تحيط به وتهيئ له أو تعد وما لم تتسعف هذه الظروف عمل المرأة فإنه يجهض عاجلاً أو آجلاً، فالمرأة الغربية حين دفعت إلى العمل هيئت لها الظروف الخارجية فساعدتها على أن تتخفف من عبء العمل المنزلي هيأت لها المطاعم والمغاسل والأكل المعلب وتربية الأطفال في الحضانات، أما المرأة العاملة لدينا فقد تحملت العبئين: العمل الخارجي والعمل الداخلي، فإذا أضفنا إلى ذلك عبء نظرة الرجل إلى عدم المشاركة في العمل المنزلي وانصرافه كلية إلى العمل الخارجي وعده العمل المنزلي منقصة أو أمراً خاصاً بالمرأة أدركنا الأسباب الكامنة وراء المناداة، أقصد مناداة بعض النسوة في الوقت الحاضر بترك العمل والعودة إلى البيت، فما دامت السيدة متزوجة أو غير متزوجة ينفق عليها في البيت ويوفر لها جميع احتياجاتها دون أن تكابد أو تشقى فلماذا تذهب وراء العمل إلى الشقاء؟! في رأيي أن هذه العودة على المستوى البعيد ستضر بالمرأة وبعجلة التنمية وبكل دعوة إلى تحررها إلى استقلالها الاقتصادي، ومهما تكالبت الظروف نحو الإساءة إلى عمل المرأة وإلى تحمل المرأة كل ما يعقب عملها من ضغوطات اقتصادية ومتاعب جسدية ونفسية لا بد لها أن تصر على العمل، فالعمل إلى جانب الوعي هما المنفذان الوحيدان إلى مرتبة الإنسانية الهدف المنشود للذكر والأنثى والمجتمع، والمنفذ الوحيد إلى درجة التحضر.

لماذا ارتفع مهر المرأة في الوقت الحاضر، ذلك يعود إلى عدّة أسباب:

ـ المجتمع الاستهلاكي، والمجتمع الماديّ، وارتفاع الأسعار، وبالتالي إلى نظرة الرجل إلى المرأة، على أنّها سلعة، والسلعة يرتفع ثمنها، وأقرب مثال على ذلك أنّ المرأة إذا طُلّقت بعد شهر من زواجها تصبح سلعة مستعملة ويقلّ ثمنها على الرغم من أنّها لم تفقد شيئاً سوى بكارتها، وبالتالي القضية لا تتعلّق بمستقبل المرأة وضمانه، فالشيء الوحيد الذي يضمن للمرأة حقّها في المجتمع المنتج هو عملها ووضعها التعليمي وشخصيتها، فالمهر المرتفع لا يضمن للمرأة شيئاً، لأنّ من يعرف المحاكم الشرعية والأحابيل الشرعية ورعونة الرجل الذي تستطيع أن تجعل المرأة بعد محاكمات أربع سنوات أن تطلب الطلاق هي، وتتنازل عن كل شيء، يعرف عندئذ أين ذهب المهر، للأسف المرأة ما تزال تنظر إلى نفسها على أنها سلعة وكلما ارتفع ثمنها رفعت رأسها.

الحل الذي تطلبه في هذا المجتمع الآثم هو حل قد يكون تربوياً، قد يكون قبل المؤسسات... الخ.

فالمجتمع الإسلامي في بداية أمره كان يتحمل أو تتحمل الدولة مشكلة النهوض، تهيئ الدولة لكل إنسان عملاً، فإذا كان فقيراً أو محتاجاً أو ليس لديه مال فإن الدولة تساعده حتى يتزوج والمهر غير مشروط حد أدنى أو حد أعلى، والرسول ﷺ قال: «التمس ولو خاتماً من حديد»، إذاً لا بد من الحل، هل هو العدالة الاجتماعية، وحل لهذا المجتمع الاستهلاكي حل تقوم به الدولة، والمشكلة القائمة هي نتيجة الجهل والمجتمع المتخلف، والمجتمع الاستهلاكي، والمجتمع السلفي، ونتيجة أمور كثيرة جداً.

***ما موقفك من عمل المرأة؟**

**عمل المرأة هو الركن الركين في قضية تحررها، فلا تحرر الآن أو في المستقبل من دون عمل للمرأة تحقق فيه إلى جانب الرجل مستوى المشاركة الفعلية

علمياً وتأخذ معلوماتها الجنسية من الكتب العلمية، من المدرسة، لا أعتقد أنّ مثل هذه الأمور يمكن أن تتمّ إطلاقاً بالصورة المشوّهة ولا أقول بالصورة الطبيعية.

أنا مع التربية المختلطة لأنها تلغي درجة الاختلاف والإحساس بالاختلاف بين الذكورة والأنوثة، وتنمّي العلاقة الإنسانية بينهما، وبالتالي فإنّ ما يأتي داخل الأسرة بأنّ الآخر ليس ذئباً وإنّما هو إنسان، هو جزء منك وأنتِ جزء منه، فتنمّي العلاقة الأخلاقية بينهما.

أعتقد بأنّ الأنثى تفهم هذه الأمور، ويكمن أن تبني مجتمعاً سليماً معافى وكل ما طرحه لمجتمع مستقبلي، لأنّ في الوقت الحاضر كلّ شيء يمكن أن يفسّر ويحرّف لصالح هدف معيّن.

إنّ المرأة لا تزال في عين الآخر معرّاة، وما تزال قطعة لحم، وما يزال الرجل في عين المرأة رجلاً فحلاً يريد أن يلتهمها، فكيف نناقش قضايا الاتّصال والانفصال وقضايا العلاقات الجنسية بمفهوم إنساني مثل هذا المجتمع؟

***من المشكلات التي تعاني منها الفتاة والشاب، ارتفاع سنّ الزواج عن حدّه الطبيعي، وهذا عائد إلى الأوضاع الاقتصادية، وغلاء المهور بالمقابل.**

ما رأيك في هذه المشكلة والحجج التي تُساق في هذا المضمار، وهي أنّ المهر الغالي يضمن حقّ المرأة من الرجل، ألا ترى أنّ هذه المشكلة سببها جهل من الطرفين المرأة والرجل؟ جهل المرأة التي تظنّ أنّ ضمان حقّها يأتي فقط من الناحية الاقتصادية، وجهل الرجل في تعامله مع المرأة ضمن عقلية لا تقبل النقاش ولا الحوار مما يدفع إلى الخلافات الكثيرة التي قد تقود إلى الانفصال وخاصة عندما يكون المهر قليلاً.

*** كيف يمكن أن تحلّ هذه المعضلة:؟**

**ليست القضية جهلاً من الرجل أو للمرأة، وإنّما هي قضية اجتماعية، يتحمّلها المجتمع والمؤسسة الاجتماعية، ويتحمّلها الذكر كما تتحمّلها الأنثى.

والأنثى، فأنا أعتبر أنّ الجنس هو جزء من عملية تواصل إنساني كامل بين الذكر والأنثى، والعملية الميكانيكية لا تحتلّ في ضوء هذه العلاقة إلاّ القليل ووفق ظروف الإنسان.

إذاً أرجو عندما أستخدم كلمة جنس الاّ تعني إطلاقاً هذه العلاقة، ولكن بما أنّك ركزت أنت على هذه العلاقة فلأناقشها بوضوح.

العلاقة الجنسية هي نتيجة ثقافية اجتماعية، ونتيجة تربية اجتماعية ونتيجة تاريخ متأصل في مجتمعنا الشرقي الذي أباح للرجل كلّ شيء ومنع عن الأنثى كلّ شيء نمّاها تنمية جنسية، وبالتالي وضعها على حدّ السكين، نمّى فيها شيئاً مكبوتاً ثمّ أمرها بعد ذلك أن تكبت هذا الأمر، وبالتالي من هنا تنشأ المشكلة لدى الأنثى بمفهوم الجنس، وتنشأ لدى الأنثى بهذه التربية الخاطئة، وبهذه العلاقة المموّهة بقضية الحلال والحرام لدى الإنسان.

ولعلّ بؤرة هذه المشكلة تكمن في التربية الأسرية، من خلال العلاقة بين الفتاة والأسرة، وعندما تنشأ الفتاة في أسرة منفتحة إلى حدّ ما فأبوها وأمّها وأخوها الأكبر يمكن أن يوجّهوها، أو يناقشوها بهذه القضية أو تلك، وضمن هذا يمكن أن تكون سيرورة المرأة أفضل وأكثر اتّزاناً، أمّا عندما تنشأ العلاقة بين الأسرة والفتاة على الكبت والضغط والإكراه، فهي تنشأ على الرغبة الدفينة في داخلها على رغبة الحرمان من طرف آخر.

وفي أوّل لقاء ــ خاصة إذا كانت جاهلة ــ مع الذكر غالباً ما تنهار أمام المراودة والإغراء، وذلك نتيجة الضعف، ونتيجة مفهومات خاطئة في القضية الجنسية لديها، فهي نقطة الضعف لدى المرأة، وهذه العلاقة تتوضّح أكثر في العلاقات الجامعية.

لو كانت التربية منذ الصغر تربية منفتحة، وتربية عفيفة، واعتبار أنّ الحقائق الجنسية هي كحقائق الحياة وأنّ الفتاة عندما تبلغ توجّه توجّهاً واعياً،

المحور الثالث

النقد والناقد

*** ما هي العوامل التي تساهم في دور مؤثر للنقد ؟**

** مهما كان نوع النقد الذي نمارسه فإنه لا يغني ولا يتطور ولا يصبح له دور فاعل وبناء إلا إذا كان مسؤولاً ونشطاً ومؤثراً، وحتى يكون كذلك لا بد أن تتاح له شروطه وهي ثلاثة:

ـ الحرية بما فيها حق التعبير عن الرأي والبحث والتنقيب دون إعاقة أو مصادرة.

ـ والتعددية، أي قبول الرأي الآخر وتجاورهما وتحاورهما بلا طمس أو قمع أو إلغاء.

ـ والمعرفية المفتشة دائماً عن الحقيقة والساعية نحو التقدم من غير أدلجة، هل أقول إنها في ذاتها شروط قبول ورفض ومكونات المنهج التكاملي نفسه الذي أسعى إلى بلورته والدفاع عنه؟ حقاً إنها كذلك.

*** ما جدوى النقد؟**

** لست مع أولئك المتسائلين أو المشككين في جدوى النقد عامة أو خاصة، إني من أشد المتحمسين للنقد مهما يكن بدءاً من النقد السياسي والاجتماعي ومروراً بنقد الأجناس والمبدعين وانتهاء إلى نقد النقد، النقد عندي مرتبط بالحياة والوجود والفكر والتقدم، ولن تخطو خطوة إلى الأمام سواء أكانت فرداً أو مجتمعاً إلا من خلال النقد، لا سيما إذا عددته رؤيا وحقلاً من حقول المعرفة، بل جماعها ومكوناً من مكونات الحضارة. أن تنقد أثراً أو نتاجاً أو فكراً أو ظاهرة أو توجهاً معناه أن تصف وتقوم وتفحص وتوازن وتختار وجهة نظر، ثم تتجاوز ذلك من خلال نقد الذات والآخر على نحو حالة هي دائماً غير مستقرة، تتطلع وتشرئب إلى الأفضل والأحسن، يحدوك هاجس التحول والتغيير، إذا لم تبدع وتبتكر وتنقد

جمدت وتحجرت وتكلست ودلفت إلى القبر، النقد صنو الحياة وعدم النقد والركون أو الاستسلام إلى ما هو واقع أو موجود صنو الموت.

والنقد ضروب وأنواع ومجالات مختلفة كثيرة، هو يتعدد بتعدد الميادين والأحوال والمهمات التي يقوم بها، والأدوار التي يؤديها، قد تنقد مرة فكرة أو شخصية أو ديوان شعر أو تتحدث عن ظاهرة أدبية لدى الأطفال أو الشباب أو الشيوخ أو النساء، أو تتناول ملمحاً من ملامح العصر أو الجيل أو الموقف، أو تخطط لأمر وترنو نحو آخر، أو ترصد إرهاصات اتجاه وولادة اتجاه وتبلور اتجاه، وقد تتمهل الخطى وئيدة لتقف عند نقد النقد أو نقد نقد النقد.. وكل ذلك النقد وجزء من حركة النقد وتطوره وملامحه، ليس المهم ماذا تنقد وفيما تنقد وحجم ما تنقد، المهم أن توظف هذا الذي تنقد توظيفاً ما جمالياً أو فنياً أو اجتماعياً أو نفسياً أو إنسانياً، وذلك كله هو جدوى النقد ونقد النقد في سيرورة التطور المعرفي والبشري وصناعة الحضارة أيضاً.

وأود في هذه المناسبة أن أذكر لك حقيقة طالما أغفلها الدارسون حين يتناولون كتاباتي، أن الجميع يحسبني على حقل الأدب والنقد، وأنا أحسب نفسي على مجال الثقافة أو المعرفة، حقل الأدب والنقد هو تخصصي الذي أعيش منه وأقتات، مهنا أمتهنها في الجامعة ولدى المؤسسات، بيد أن الهواية غير ذلك، هوايتي الفكر والتنوير، وإعادة قراءة المسلمات اليقينية الكبرى أو الصغرى لا فرق، وأصدقك إني أجد ذاتي في «الهواية» أكثر مما أجدها في «الوظيفة»، من هنا أكابد المتاعب والمشقات، فمن أجل ولادة جديدة على مستوى الأشياء أركب المخاطر وأصادم، إخلاصاً للمعرفة التي تنشد، وصدقاً مع الذات التي أملك، ودفاعاً عن شرف الكلمة التي أومن.

*** ألا ترى أن نقد النقد صار ضرورة ملحة، وقد يكون مفيداً أن يدرّس في الجامعات؟**

** نقد النقد كنقد الإبداع، كلاهما ضرورة ملحة وحاجة أساسية للطلاب والدرس الجامعي، وقد عبر زمن كان فيه نقد الإبداع لا يؤويه له، أما الآن فإنه يسعى إلى أن يؤسس لذاته حقلاً معرفياً مميزاً له خصوصيته وإلى أن يكون علماً، وبغض النظر عن نجاح المحاولة لأنه يبقى عند معظم الدارسين عملة لها وجهان أحدهما علمي وآخرهما أدبي فإن المحاولة تبدو على جانب كبير من الجدية ومن المسؤولية.

وإذا سلمنا بأن النقد في ملمحيه نقد النص ونقد النقد أساس المعرفة وعمادها وفضاء تطورها فسنرتب على ذلك نتيجة مؤداها أن لا حقل من حقول المعرفة العامة أو الخاصة من دون نقد ومن دون امتلاك لمصطلحه ومفهوماته وأدواته ومناهجه، وهذا يؤدي بدوره إلى بداية أو نهاية ـــ لا فرق ـــ خلاصتها: ليست كل كلمة تقال في الأدب نقداً، وليس كل فرد يقول كلمة في النقد يمكن أن يعد ناقداً. إن النقد ومن رائه الناقد مفهومان أخطر من ذلك وأبعد من ذلك، النقد رؤية ومنهج وإضافة، والناقد الموسوعي أو المختص هو أقرب إلى الفيلسوف منه إلى الدارس، وكما أن الفلسفة تفرض على رجلها أن تكون له وجهة نظر إزاء الكون والإنسان والحياة، له موقف ومفاتيح، كذلك النقد يفرض على رجله أن تكون له وجهة نظر وموقف ومفاتيح أساسها معرفي، يسير بها ويحلل ويركب ويعيد العالم بما فيه النص، وعندي أن القضية يجب أن ينظر إليها على هذا المستوى حتى لا تستعمل المفردة جزافاً كيفما اتفق، وفيما هب ودب، قد تكون دارساً أو مؤلفاً أو جامعاً أو حتى قارئاً متذوقاً.. ولا ضير في ذلك، ولكن أن تكون ناقداً وتحسب نفسك على مجال النقد فالأمر مختلف كل الاختلاف.

من هنا أراني أوافقك على أن تدرس مادة اسمها نقد النقد، تضاف إلى جدول المقررات لأهميتها وخطورتها، إنها مادة توسع من أفق المعرفة وتضبط أدواتها وتحاور أو تعالج قضاياها، وكما كنت أنادي ولا أزال بإدخال مواد جديدة إلى قسم اللغة العربية كنظرية الأدب وعلم النص وقراءته وتشريحه أدعو إلى إضافة مواد في حقل التدريس الجامعي في سائر الكليات من مثل علم المناهج وعلم المفهومات وعلم المصطلحات وعلم الكمبيوتر والمعلومات وعلم البيئة.. الخ، وبذلك وحده ندفع بتطوير التعليم العالي إلى حيث يجب أن يكون مع انعطافة القرن وننتج/ نصنع أو نكون إنسان القرن المقبل.

من أحلام اليقظة التي كنت أتخيلها أن يشيد معهد أو كلية تابعة لجامعة دمشق خاصة بالنقد، وضعت لها من زمان يافطة عريضة كتب عليها «كلية الدراسات الأدبية والنقدية» وهمتها تخريج أفراد لا أفواج من المتخصصين في شتى فروع النقد الأدبي ونقد النقد، فهل يتحول الخيال يوماً ما إلى حقيقة، كما رأيت ذلك في مصر العربية، أو يظل حسرة تتحشرج في الحلق وتدلف مع صاحبها إلى القبر؟!

*** ماذا هلّ بالمنهج التكاملي في النقد، ألا ترى أنّ الظروف الآن غدت أكثر ملاءمة له، أعني ربّما كانت دعوتك إليه نوعاً من استشراف المستقبل؟**

** المنهج التكاملي ما زال يتّسع وينمو ويتطوّر ويتلامح على الصعيدين العربي والعالمي، وما زال يجد أنصاراً له يتحوّلون إليه، ويلتفّون حوله على كلّ صعيد، ولا أدلّ على ذلك من أنّه أتيح أن يكون له غير ورقة واحدة ومحور له ربيبته التعددية في المؤتمر العالمي للنقد الذي عُقد أخيراً في القاهرة.

أمّا بالنسبة إليّ فلم يكن مجرّد استشراف لم يحن أوانه، إنّه يرتبط لديّ بالرؤية والرؤيا معاً على مستوى الفكر والنظرة والسلوك، وهو جزء من حضوري وواقعي وطموحي، بيد أنّ الأحوال أعانت يوماً ما على الدعوة إليه،

ولكنّ الظروف لم تساعد حتّى اليوم على صوغه أو بلورته، وهو يحتاج إلى جهد عمر، أو جهد جيل أو أجيال حتّى يستقرّ ويتكوّن ويتّفق حول مفهومه ومكوّناته وأدواته.

عالمياً لم يعرف المنهج بهذا الاسم على مستوى النقد الأدبي، لقد استُعملت له مصطلحات ومفهومات أحياناً تلتقي وأحياناً تتداخل، سمّي مرّة بالمنهج المتكثّر وأخرى بالمتعدّد، وثالثة بالمفتوح، ورابعة بالحواري وخامسة بالتعدّدي وسادسة بالسياقي، كما اتّهم بالتجميع أو التلفيق في مقابل التركيب والتماسك، على كلّ حال ليس من مهمّتي أن أصف أو أدافع، حسبي أن أقول: منذ سنوات وضعتُ خطّة نصب عيني لدراسته على مستوى التنظير والتطبيق، ولكن لم أستطع أن أنقل هذه الخطوة من مستوى الوجود بالقوّة إلى مستوى الوجود بالفعل لألف سبب وسبب أنت تعرف بعضها.

لم يكن ما سمّي بالمنهج التكاملي من اختراعي وإن كنتُ ازددتُ به إيماناً واقتناعاً عبر رحلتي البحثية طوال ثلث قرن، أذكر أنّ أوّل من كتب عنه على استحياء، سيد قطب في كتابه عن النقد الأدبي الذي صدر في نهاية الأربعينات، كتب عنه عشرين سطراً في الورقة الأخيرة من الكتاب، ثمّ تحدّث عنه بعض الدارسين طوال عقدي الخمسينات والستينات، الآن على مشارف نهاية القرن وانعطافه نحو القرن المقبل تسمع عنه في كلّ مكان من المحيط إلى الخليج، فعندما يُسأل معظم النقّاد والدارسين غير المؤدلجين عن المنهج الأصلح الذي يقترحونه أو يؤثرونه للمقاربة النقدية يجيبون بالمنهج التكاملي أو المتعدد. وقد كان المنهج الأعلى صوتاً من بين جميع المناهج أو إلى جانبها في مؤتمر النقد المشار إليه آنفاً، مثل النقد المقارن والنقد الألسني والنقد الجمالي والنقد الحدودي/ المتاخم، فكيف إذا كان يعني في جملة ما يعنيه ويشمل في أن هذه الأنواع الأخرى والمقاربات؟

ولعلي أقر ما ورد في سؤالك عن كون هذا النقد هو الذي يلبي حركة الواقع النقدي العربي خصوصاً وحاجته، ويستشرف آفاق المستقبل لأنه يسير جنباً إلى جنب مع دعوات الحرية والديمقراطية والتعددية الفكرية، ويلبي بالتالي حاجة الإنسان المتلقي إلى منهج يحقق له ويشبع مختلف زوايا التناول والاستقبال والسبر والفحص والتحليل، وهو بخلاف غيره من المناهج الغريبة الوافدة المتغيرة اللاهثة والمتسارعة التي تظهر عادة كردة فعل ثم تضمحل وتتلاشى أدنى ما يكون من الأفق الاستراتيجي المتوازن لكلية الإنسان وآلية صدوره وتلقيه.

*** يرى بعضهم أن كماً كبيراً مما كتبت في العقد الأخير ينضوي تحت إطار النقد المناسباتي، فما هو ردك على ذلك، وهل ما كتبته في هذا الحقل يعد رداً على الأدباء الذين يتهمون النقد بالابتعاد عن الأدب المعيوش، أو أنه رؤية تؤكد ضرورة أن يتناول النقد جديد الأدباء؟**

** هناك أمور عدة أود أن أقف عندها وأناقشها في هذا السؤال، وأول هذه الأمور ما سميته بالنقد المناسباتي تأسيساً مع ما قيل عن الشعر المناسباتي، إن مصطلح «المناسبة» الذي شاع في النقد منذ الحركة الرومانسية رداً على الإبداع الإحيائي غير دقيق على مستوى النقد الصرف ومستوى الاستعمال العادي، فهل نقصد بالمناسبة الأسباب التي قيل فيها النص أو العوامل التي دفعت إلى صوغه أو الأحوال التي هيأت له وساعدت على إنشائه، أم أننا نقصد بالمناسبة الدواعي الخارجية الوقتية والخاصة التي استجاب لها المبدع وقال ما قال في ظلها، ثم زالت هذه الدواعي وزال النص بزوالها؟ أم أننا نعني ثالثة، لا سيما في ما يتعلق بالنقد، مجرد الإشارة إلى أن ما كتب تحت هذا العنوان أملته ظروف متفاوتة مختلفة ثم جمع في كتاب واحد لا ينظمه منهج ولا رؤية ولا سياق؟

إن نعت «المناسبة» يستعمل في سياقين مختلفين، سياق تتهم فيه الكتابة بالاستجابة إلى الدوافع الخارجية الطارئة، وسياق تتبين فيه الأسباب الكامنة وراء

إنتاج النص، والخط الفاصل بين الاستعمالين هو أن تجيب على بعض التساؤلات، أولها هل يوجد نص من دون مناسبة يكتب فيها أو يقال؟ وثانيها هل يرتبط النص ـــ أي نص ـــ بخصوصية المناسبة وينقضي بانقضائها، أو يبقى بعد المناسبة لأنه يتعلق بالدلالة العامة؟ وثالثها، هل يتناول النص الفرد الزائل أو يتناول البنية والفن وشبكة العلاقات وطريقة التعبير أو الأسلوب وجميعها خالدة ومتطورة في آن، فإذا كانت الأجوبة سلبية فإنك تكون في حقل الاتهام، وإذا كانت إيجابية فإنك تكون في حقل البيان والتوصيل ليس غير.

نأخذ مثالاً على هذا الفرق الجوهري والهام من علم أسباب النزول في النص القرآني، فالعديد من السور والآيات مكية ومدنية لا يمكن أن تفهم وتدرك إلا من خلال هذا العلم، بيد أنه في أغلبه مجرد قرائن للمعرفة تزول بزوال ظروفها المنتجة لها، وتبقى الدلالات عامة وعائمة تصلح لكل عصر وزمان، ويبقى النص الجزئي دائر في فلك السياق الأكبر وفي إطاره من دون أن يتهمه أحد بالمناسبة، أو يحمله عليها، ومع البون البعيد بين بيان الأرض وبيان السماء فإن الحديث عن السبب في نزول النص المقدس كالحديث عن ظروف إنتاج النص البشري واحد، على الأقل في آلية المعالجة ونتائجها، فلم نتهم أحدها ونبرئ أو ننسى الآخر؟!

ثاني الأمور أن ما كتبته في النقد يتناول مختلف مستويات الإبداع وظواهره وتجلياته وقضاياه، وأعتقد أن من واجبي ـــ دعك الآن من الظروف المحيطة ـــ أن أفعل ذلك، بل من مهمتي أن أقوم بذلك، لقد تحدثت عن أدب الشباب ودافعت عن حقهم في تأسيس إبداع خاص بهم، وأصغت إلى أصواتهم، وحثثتهم على أن يكونوا أبناء زمانهم مثلما كتبت عن أدب الشيوخ، وكتبت عن أدب الحداثة مثلما كتبت عن أدب التراث، وكتبت عن أدب المرأة مثلما كتبت عن أدب الرجل، وكتبت عن تبادل التأثير والتأثر بين أنواع الفنون مثلما كتبت عن التمايزات، وتتبعت الإنتاج الجديد مثلما وقفت عند الإنتاج القديم وأعدت قراءته..

وبغض النظر عن رؤيتي للناقد الموسوعي ودفاعي عنه فإنني أرى أن على الناقد أي ناقد أن يتناول الأحياء والأموات، الجديد والقديم، التنظير والتطبيق، أن يتحدث عن النص القائم وأن يبحث في النص المقبل، أن يسترجع وأن يستشرف، وتلك بعض مهماته ويا لها من مهمات صعبة!

ثالث الأمور أن ما أكتبه عن النقد وفي النقد ليس ردة فعل لأحد ولا حتى استجابة لنداء أحد، إن ما أكتبه فعل ينبع من أفق تصوري ومن أفكاري ومن ضميري والتزاماته وفي مقدمتها الأمانة، فعندما كتبت ما كتبت في الحقول الأدبية والمعرفية التي أشرت إليها كان هاجسي الوحيد هو أن نكون نحن كأمة فاعلين في دوامة العصر، ولن يتسنى لنا ذلك إلا إذا قرأنا كل شيء ونقدنا كل شيء.

رابع الأمور أن ما قيل عن كتبي الأخيرة «المغامرة النقدية» و«أوهاج الحداثة» و«أطياف الوجه الواحد» من أنها ليست أكثر من نقد «مناسباتي» ومجموع دراسات متفرقة نظمت في كتب فكلمة حق أريد بها باطل، وتدل على جهل بحركة النقد وحالات النقد، وكل من يقرأ في ما كتبه طه حسين والعقاد وزكي نجيب محمود وحتى صلاح فضل يعرف أن كتبهم النقدية تنقسم إلى قسمين، قسم يضم موضوعات محددة يتناول كل كتاب واحداً منها، وقسم آخر هو الأعظم يضم مجموعة مقالات ومقاربات نقدية لا ينظمها إلا فكر صاحبها، فهل يستطيع أحد أن يعيبهم ــ وهم من هم في تاريخ النقد وحركته ــ بأنهم كتبوا في نقد المناسبات؟

إنّ السنوات العشر الأخيرة بين منتصف الثمانينات ومنتصف التسعينات كانت حافلة بالنسبة إليّ، لقد كنتُ خلالها مقرراً لجمعية النقد الأدبي في اتحاد الكتاب، وفي نهايتها رئيساً لفرع الاتحاد بحلب، وكان عليّ ــ إلى جانب عملي في الجامعة ــ أن أستجيب للنداءات المختلفة بالمشاركة والمساهمة والكتابة، فكنتُ

ألبيّ كلّ النداءات هنا وهنالك لاعتقاد وقر في ذهني بأنّ دوري كمثقف يقتضي ذلك، ألم أقل من قبل إنّ هوايتي التنوير، وبعض التنوير أو معظمه نقد!!

*** التحول إلى النقد الفكري والثقافي صار ظاهرة تلفت الانتباه لدى النقاد العرب، فما رأيك فيّ هذه الظاهرة وفي عواملها؟***

** لست معك في أن نقد النص أدبياً أخذ يتحول بعامة عالمياً أو عربياً إلى مجال الفكر والثقافة، فلا تزال الاتجاهات الغالبة عليه تدور في إطار اللغة «الألسنيات» أو البنية « بنيوية» و«التفكيكية» وما بعدهما، أو الأسلوبيات والجماليات «أدبيات السياق» وما زلنا نسمع أصداء مقولة «موت المؤلف» تتردد حتى مع إطلالة مقولة «موت النص».

ومع ذلك أقول إن هذا التحول ــ إن صح الاستقراء ــ يعني في جملة ما يعني أحد أمرين أو كليهما معاً، أولهما تحول النقد الأدبي الخالص، وثانيهما تحول لربط الأدب والنقد من ورائه بالبعد الخامس الأهم، وهو البعد الفكري والثقافي، ويعني التحول الأول إفلاس النقد الأدبي الخالص أو صعوبته، إفلاس النقد الذي يدور حول شكلانية العلاقات النصية أو يكتفي بها، وصعوبة الحديث دائماً عن تفكيك بنى النص أو شبكة وحداته الجمالية الناسجة له وإعادة تركيبها من جديد، أما التحول الثاني فيعني أن النص كالكائن الإنساني الفرد لا يحيا في فراغ، إنه جزء من سياق كلي أعم منه وأرحب، مثله مثل السمكة لا تحيا إلا في وسط وتعيش، وعندي أن الفكر أو الثقافة أو المجتمع ــ سم ذلك ما شئت ــ هو الإطار الذي يصدر عنه النص.

أهو تحول من الشكلية/ الشكلية الأدبية التي كنت أؤمن بها وأحلل في ضوئها متون الإبداع إلى السياقية الكبرى التي هي ــ شئنا أم أبينا ــ مرجعيتها عند التحليل الأخير؟ ربما يكون ذلك صحيحاً ولكن الأصح منه والأدق أن تقول

---

* د.أحمد جاسم الحسين، تشرين الأسبوعي، العدد 29، 21 أيلول/ سبتمبر 1998.

إنه العودة إلى نقطة التوازن الثابتة أو المتحركة في آلية الرؤية، وليست نقطة التوازن هذه سوى مفصل من مفاصل النقد التكاملي/ التعددي وفق التوصيف الذي أراه.

*** برأيك ما هي العوامل التي ساعدت على تحول النقاد العرب إلى هذا المجال؟**

** يكفي أن نتذكر الحلقة المفرغة من صراع الثنويات التي ما فتئ المجتمع يعانيها بدءاً من عصر النهضة حتى الآن، ولما يخرج منها إلى غيرها، أقصد ثنويات القديم والجديد، الأصالة والمعاصرة، التراث والحداثة وأزمة البحث عن الهوية والذات، والاستقلال والتبعية، وضرورة أن يكون لنا فكر خاص وثقافة متماسكة في دوامة العصر، وهو اتجاه يقف على النقيض من العولمة والنمذجة والاحتذاء، وواحدية الطريق، وأعتقد أن هذه الحالة ستطول وتمتد ما لم نقف على أرض ثابتة وراسخة.

*** يرى الكثيرون أنه لو أتيح لك أن تتفرغ إلى حقل معرفي أو أدبي محدد لكان ذلك أجدى لك ولقرائك وللنقد بعامة، ذلك أن أي موضوع ناقشته، أو تحدثت عنه أقرب ما يكون إلى مشروع كتاب خططت له واكتفيت بعناوينه الرئيسة والفرعية، وهذا ما ينطبق على التناص والانزياح وإشكالية قراءة النص وغيرها من الموضوعات أو العناوين أو المشاريع الضخمة التي لم تبحث بالاستضافة العلمية المتوخاة.**

** أن أفرغ لموضوع واحد أو حقل معرفي أمضي فيه عمري، فذلك أمر ما خطر في بالي ولن أجترحه، قد يكون الانصراف إلى مجال واحد أنفع لهذا المجال أو أجدى، وذلك شأن الناقد المتخصص الذي يعرف كل الأشياء عن الشيء الواحد، أو هكذا يجب أن يكون، أما بالنسبة إلى الناقد الموسوعي الذي يعرف بعض الأشياء عن كل الأشياء فالأمر جد مختلف، قلت منذ قليل إن النقد حرفتي،

ولكنه ليس هوايتي، كتبت كثيراً فيه، وكتبت أكثر في مجال الرواية، وأعتز بهذا الذي كتبت، سأذكر لك بعض الأمثلة، أنا ناقد محسوب على الحداثة والشعر الحديث، إلا أنني ما درست هذا التخصص طوال عمري الجامعي، كنت ممنوعاً لسيطرة سواي عليه، هكذا كانت تقاليد الجامعة، السابق أولى من اللاحق، ترك لي أن أدرس البلاغة والنقد والأنواع النثرية في الأدب الحديث، ترك لي الأدب المقارن وتيارات الأدب الغربي وحتى الإسلاميات.. كل ذلك درسته، ودرست إلى جانبه في جامعة الكويت الأدب الجاهلي والإسلامي والأندلسي، وقبلت التحدي، وخرجت من التحدي بالألق والامتلاء والحضور المعرفي بسبب هذه التعددية في "المعرفة وفي الثقافة، ويعجب الطلاب كيف أشافههم وأملي عليهم دون أوراق ولا أقلام، وإذا كنت أزدهي بالأمر فإني أزدهي بحس الاستشراف في مجال تحليل الفكر السياسي أكثر من ازدهائي بالمشافهة والموسوعية، أنا لا أعمل قط في مجال السياسة، ولا أنتمي إلى تنظيم، ولكن بحكم ثقافتي أنفذ إلى ميدان الفكر السياسي فأقلب فيه، هل تعرف أنني تنبأت بما سيحدث في الاتحاد السوفييتي من انهيار قبل تفككه بأعوام وأعوام؟ حدث ذلك في محاضرة ألقيتها منتصف الثمانينات عن ماركسية القرن الواحد والعشرين، وفي حوار أجريته مع سيديروف أيامه ونشر في جريدة الأسبوع الأدبي، واستشرفت الواقع العربي الراهن قبل ترديه ومآسيه وفواجعه ومآسيه وفواجعه بسنوات وسنوات، فعلت ذلك في محاضرتين أولاهما عنوانها «الأندلس القادمة» وأخراهما عنوانها «ما بعد أزمة الخليج»، وما قلته عن المشروع القومي والقضية الفلسطينية وحركات العنف الإسلامي نرى عقابيله تجري على الأرض ماثلة للعيان كأني كنت أقرأ في لوح محفوظ، قد تقول إن التخصص في مجال واحد أجدى نفعاً وأبلغ عمقاً، وربما كان أدق في الرؤية والاستشراف، وأقول إن الموسوعية في مجال المعرفة ومجال التنوير أنفع لصاحب القضية ولنشر الوعي بين الجماهير وللأجيال من بعد ذلك، ولو أعدت

الكرة من جديد لما اخترت إلا ما كتبته وصرت إليه، أجل ووسيلته أيضاً، التنوير هدف في حد ذاته، والتعددية أو الموسوعية ضريبة هذا الهدف.

***تكاثرت الآراء حول مفهوم الحداثة في الأدب وتباينت طروحاتها، فكيف ينظر الأستاذ الدكتور نعيم اليافي إلى مسألة الحداثة في الأدب؟**

** رأيي أن نبدأ بمفهوم الحداثة بإطارها العام أولاً وصولاً إلى الحداثة في الأدب والفكر، فهناك مفهوم أو مفهومات خاطئة للحداثة، فقد فهمت الحداثة بمفهومات متناقضة جداً لعل أشهرها أنها ارتباط بالمركز الغربي الأوروبي والانقطاع الكامل عن التراث، وهذا المفهوم ثانوي، فمن أراد أن يعارض الشرق بالغرب والقديم بالجديد يؤمن بهذا الاتجاه وصولاً إلى هدف سياسي أو أيديولوجي لا يمت إلى صلب الواقع بصلة.

فما هو الهدف؟

إن المركزية الأوروبية تريد أن تؤمن بأن الحداثة لها وحدها وطريقها واحد ولا يمكن أن نصل إليها شعراً أو نثراً أو فكراً أو اقتصاداً إلا عبرها.

لكنني أتصور أن الحداثة حداثات، ولكل مجتمع حداثته التي تتلاءم مع ظروفه، شريطة أن ترتبط هذه الحداثة بخاصة بالمفهومات العامة للحداثة في أفقها الأوسع الفكري والاجتماعي والسياسي.

ما هو الأفق الأوسع للحداثة السياسية والأيديولوجية؟

مفهوم الحرية.. مفهوم التعددية.. مفهوم العقلانية.. مفهوم الحوار، كل هذه مفهومات حداثية يجب أن توجد في كل بيئة وفي كل عصر من خلال هذا الإطار الأوسع للمعنى الفكري والفلسفي للحداثة. نستطيع أن نصب في إطار الحداثة الشعرية بما أننا جعلنا لكل مجتمع حداثته الخاصة وقطيعته المعرفية.

وأريد أن أقف عند مفهوم القطيعة المعرفية بالذات لأنه مستخدم في ضوء الحداثة أيضاً لدى شبابنا بمعنى الحداثة.

فالقطيعة المعرفية لا تعني كمصطلح فلسفي معاصر الانبتات الكامل عن الماضي أو عن التراث، وإنما تعني إعادة النظر بقراءة جديدة لهذا التراث بشكل نفهمه وفق رؤية جديدة ومنهج جديد، والحداثة، الحداثة الشعرية من خلال هذه الأطر وجدت أن حركة الواقع تتجاوز المعمول به أفكاراً ورؤية ونسقاً وموسيقى.. فأرادت أن تقدم شعراً حديثاً يرتبط في شيء منه بالتراث، ثم يتجاوز هذا التراث، ومن هنا كانت الحداثة في نهاية الأربعينات وبداية الخمسينات مع حركة الشعر الحر. فحركة الشعر الحر ليست كما نتصورها هي قراءة استنتاجية للشعر الغربي، ولولا أن في تراثنا ثورات تجاه العروض وإرهاصات كثيرة متتابعة: من أبي نواس وأبي تمام وأبي العتاهية والموشحات وصولاً إلى كل ذلك، لما استطاعت الحداثة الأولى أن تشق طريقها، فالحداثة الأولى إذا شقت طريقها عبر جسرين هما:

أ ــ الاتصال مع التراث.

ب ــ الانبتات عنه في الوقت نفسه.

فقد قدمت اتصالها بالتراث من خلال ارتباطها الموسيقي بالإيقاع التفعيلي، وقدمت أيضاً ارتباطها بالتراث من خلال الأقنعة والمرايا وأساليب التوظيف التراثي في الشعر المعاصر، أما ما عدا ذلك فشيء طبيعي أن التقنيات المعاصرة تستجد وفق إيقاع جديد للحياة وفق إيقاع جديد للرؤية، هذا الإيقاع الجديد عكس المؤثر الغربي بشكل جيد «بحكم تأثير هذا المؤثر في نواحي الحياة كافة» والمشكلة أننا في ميدان الشعر نجد ظاهرةً غريبة جداً وهي أن الحداثة الغربية ابنة التراث الغربي وحركة التصنيع الغربية وتلائم حاجيات ومتطلبات تلك البيئة.

أما نحن فللأسف في بيئة متخلفة صناعياً ضمن مجتمع غير مؤهل حداثياً من الناحية الفكرية ولكن وجدت فيه طبقة من الشعراء تقوده حداثياً، فهذه الظاهرة الغريبة موجودة فقط في تراثنا العربي الحديث، ذلك أن طبقة الشعراء أكثر تقدماً

من المجتمع المتخلف لأنهم يقدمون إنتاجاً جديداً لا يتلاءم مع مجتمعاتهم تنظيرياً وتطبيقاً ورؤية.

***هل لأن الشعر ديوان العرب كما يقال؟**

**هذا المفهوم خاطئ، فالشعر ديوان العرب في زمنه لأن العرب أمة صوتية، أمة تؤمن بالكلمة، لكن الواقع العربي يجب أن يطور أدواته، فما تم على صعيد النثر من تقنيات فنية لا يلاقي إطلاقاً المعارضة التي تمت في ميدان الشعر لهذا السبب، ومع ذلك هل لبث جميع أصناف التعبير النثرية صدى التطور الحداثي العالمي؟ وهل استجابت لتطورات عصرها؟

أنا أعتقد بأن بعض مناحي الرواية استطاعت أن تجمع بين تطوير الموروث الشعبي وبين تقنيات الحداثة بصورة أفضل من الشعر، بتأصيل جنس أدبي ينبع من واقعنا.. من تراثنا.. من ذاتنا، وهذا ما فعله عبد الرحمن منيف ويوسف القعيد وجمال الغيطاني ومؤنس الرزاز بمحاولاتهم الرائعة.

وعلى مستوى المسرح أيضاً فالمشكلة للأسف مشكلة الخشبة وليست مشكلة النص، وبالتالي تعتور هذا الجنس الأزمات بخلاف النص الروائي، لأن النص المسرحي لا يمكن فقط أن تكتبه لأنه يجب أن يمسرح على الخشبة، ومسرحنا وصل إلى أوجه في نهاية السبعينات وبدأ بعد ذلك يتراجع لأسباب كثيرة منها ما يعود للنص ومنها ما يعود للمجتمع والإمكانات وغيرها.

وفي القصة القصيرة فالنماذج القصصية تحاول أن تستمر وتقدم التقنيات الجديدة التي تحاول تأصيلها من خلال التراث ولا تؤمن بهذه الازدواجية بين شرق وغرب وهذه نظرية خاطئة فالإنسان كل.. شمول.. لا يوجد فيه جسد مقابل روح، وإنما توجد علاقة جدلية بينهما.

فالحداثة هي إعادة اختراق التراث ومن ثم الانفتاح على الغرب وأنا أقترح أن ننفتح على حضارة الغرب بأقصى إمكانياتنا إذا كنا أمة تثق بنفسها، تماماً كما

حدث في العصر العباسي حين كنا أمة مسيطرة انفتحت وقرأت واستساغت ثم أنتجت فلسفة العصر الوسيط المميزة لنا، فأجدادنا عندما قرؤوا الحضارات لم يقولوا هذا تراث يوناني وذاك روماني نأخذه أو لا نأخذه، وإنما جعلوا الثقافة الإنسانية همهم وهم المسؤولون عنها أيضاً.

***هل الشعور بالقوة في العصر العباسي وبالضعف في وقتنا الحاضر هو ما يقف وراء هذه الظاهرة؟**

**رأيي أن نفرق بين الاستعمار الغربي وبين النهضة الأوروبية ورغم أن الاستعمار الغربي هو عدونا اللدود إلا أن حضارته هي سبيلنا للوصول إلى حداثتنا، ونحن بحاجة إلى انقلاب جذري من داخلنا لرؤية تراثنا ووضعنا ولتربية جيلنا الشاب، أنا في حلب ومن حسن حظي أشرف من ثماني سنوات وحتى الآن على أنشطة الشباب الثقافية إنتاجاً وأخلاقاً وكل شيء، فأعرف مشكلات هذا الجيل وأعرف ما يعانيه، والآن وبصفتي رئيساً لاتحاد الكتاب العرب بحلب أقيم نشاطاً خاصاً للشباب سميته النشاط الموازي وخصص له يوم كامل في الأسبوع، لأنني أريد أن أوجه الشباب أن أتحاور معهم لأنني مؤمن بهم، ويجب أن نقيم باستمرار حواراً مع إنتاجهم ومعهم.

لديهم مشكلة مزدوجة في الواقع، هي تصورهم لعقم الماضي أو الحاضر العقيم لارتباطه بالماضي.

وإن كنت مع الشباب في تمردهم ورفضهم لكنني مسؤول كأب أن أوجد أو أبدي لهم رأياً ما قد يؤخذ وقد يرفض. واجبي أن أحاورهم بكل صراحة ووضوح وفي هذا العام سنقدم محاضرات خاصة للشباب ومن أدباء الشباب ومفكريهم، وهي تجربة جديدة أرجو لها النجاح، ولدينا كل أسبوع بدءاً من الشهر العاشر يوم للقصة ويوم للشعر وآخر لقراءة نصوص ومناقشتها ويوم لمحاضرات حول أدب الشباب ونتاج الشباب وفكر الشباب.

وسنشكل لجنة تخصص أحد أعضائها للشعر وآخر للقصة وثالث للمحاضرات ونقدها.. وأريد أسماء متوازنة فأنا أرفض كل شاب ينقطع عن تراثه ويقول أنا مع الفكر الغربي وبالعكس، أنا أومن بالشباب المتوازن الذي يفتح صدره لكل التجارب ويحاور كل التجارب ويجعلها أفقاً واسعاً للحوار، وهذه هي التعددية، فالتعددية أن تستمتع إلى الجميع ولا تحارب أحداً، فأرجو من الشباب الجدد والمحاورين الجدد أن يصنعوا هذا الأفق وهذا جزء من مهمة صعبة ثقيلة لكنها حضارية وهي إن نجحت يمكن أن تطورها وبدأنا نخطط الآن للانطلاق إلى الجمهور في أحيائهم وأريافهم مع شعراء وقصاصين ومحاضرين.

المحور الرابع

القصيدة الحديثة بين التراث والتحديث

*** هل يمكننا أن نعدّ القصيدة الحديثة تطوراً حقيقياً للقصيدة التراثية؟**

**هي تطور حقيقي مقصود وليست تطوراً ناتجاً عن البنية التحتية، هناك فروق بين تطور ينتج عن تطور عام من خلال البنية التحتية، هذه البنية التي تولد شيئاً متطوراً وفق الظروف المتطورة، ولكن هذه الصورة لا نجدها في واقعنا.

***هل هذا التطور تطور من رأس الهرم فقط؟**

**طبعاً لدى الشعراء تطور من رأس الهرم أما البنية التحتية فلا يوجد تطور مواكب متدرج.

في مجتمعنا توجد قفزات في تطور تلك البنية، فمجتمعنا حتى عهد قريب بعيد عن التطور في مجالات مختلفة وإذا له فجأة يقفز قفزات اطلاعية نوعية على الصعد كافة، مثل التصنيع المفاجئ، القوانين الاقتصادية الجديدة الخاصة بالاستثمار، التطور الاجتماعي السريع.. هذه القفزات قد توقعنا في مأزق أكثر مما تنقذنا أو توصلنا إلى العصر على شتى الصعد.

***ما هو الحل إذاً.. أو ما هي الطريق للوصول إلى حل هذه المشكلة على المستوى الفني أولاً وعلى المستوى الاجتماعي ثانياً؟**

**إن المستوى الاجتماعي لدي هو الأهم، فالسياق الفكري والفلسفي أهم لكي تصنع فكراً، فحتى وقتنا الحاضر لا يوجد فكر عربي معاصر، وفكرنا العربي هو فكر هجين وكذلك اقتصادنا وحتى قانوننا، فلا بد أن نصنع حداثتنا من خلال تطورنا، ومن خلال المؤثرات الأجنبية منطلقين من مصلحتنا.

فتطوير الواقع هو أساس التطوير، وهو لا يتم إلا من خلال صناعة الإنسان، وإعداده لرؤية كل شيء يلائم عصره وتربيته تربية خاصة. خذ مثالاً على ذلك نحن نعنى بتنمية كل شيء، ولكن نهمل إلى جانب ذلك تنمية الإنسان، فما جدوى أن تنمي حقلاً أو مزرعة ثم تهمل صناعة الإنسان؟! فالإنسان هو الذي يصنع فهماً. لقد استورد بعض العرب مدناً غربية كاملة الصنع لكنها لا تصنع شيئاً لديهم، مثلاً مدينة بترول صناعية كاملة مستوردة متقدمة حتى على التكنولوجيا في بعض دول الغرب، ولكن هل أدخلت الحداثة عامة إلى تلك البلدان؟ لا أعتقد.

فالحداثة هي إعادة النظر في كل شيء، وبعد ذلك يمكن أن نتكلم عن الحداثة.

ففي كل الظروف العربية والدولية الراهنة لا نستطيع أن نمارس مفهوم الحرية أو مفهوم الديمقراطية ولا نستطيع ممارسة التعددية وإن دعونا إليها.

فالتعددية ليست أسيجة أو دكاكين معلوماتية وكل يحارب الآخر، التعددية هي استماع للآخر وحوار معه وإيمان به وتنازل له.

أما عندنا فكل واحد يرى في ذاته عظيماً ومسيطراً وفهمه هو الفهم الصائب وما عدا ذلك فكله رجس من عمل الشيطان.

هذه هي أزمة الوطن العربي ككل.. حيث لا زلنا ندعو إلى العقلية ضمن الكتب فقط، لكن حياتنا لا تمت إليها بصلة... إنها تمت إلى السحر والأساطير والخرافات.

***هذا على المستوى الاجتماعي، فماذا على المستوى الفني؟**

**القضية على المستوى الفني هي التي توصل لنفسها، لأننا لا نستطيع أن نفرض على الفنان وجهة نظر معينة، فعندما وجد الشعراء أنهم بحاجة إلى الحداثة صنعوها ومن ثم طوروها، لا نستطيع في أية حال أن نقول للشاعر أو الفنان اتخذ هذا الاتجاه في حداثتك؟ أو سر بهذا الاتجاه، كما أن حركة الحداثة الأولى وجدت أن الواقع يحتاج إليها فلبت نداءه وفق تصورها.. وهذه الحداثة الأولى للأسف الشديد انقطعت في الستينات ولم تطور ذاتها مرة أخرى، وكان انقطاعها عن طريق حداثة جذرية أخرى هي قصيدة النثر ولو كان الوضعان الاجتماعي والفكري سليمين لتلاحمت الحداثة الأولى حتى اكتملت، ومن ثم تطورت إلى ما يأتي بعدها.. وهكذا فإن الحداثة الأولى انقطعت.. ولكنها ما لبثت أن دخلت عليها حركة حداثية أخرى هي قصيدة النثر، ومشكلة قصيدة النثر في بداياتها في الستينات وفي الخمسينات عندنا نشأت في نطاق رحاب مجلة «شعر» ربما كانت لها أهداف أخرى غير الأهداف المعلنة.

وأنا كناقد لا أشير ولا يعنيني ذلك ولا أناقشه ولكن ما يهمني هو أن قصيدة النثر كان يمكن تطويرها عن طريقين:

ـــ فتراثنا مليء بقصيدة النثر لكن من منظور عصره لا من منظور عصرنا الحالي، فلماذا لم نأخذ هذه الأمور ونطورها ونجذرها؟

أما الذي حدث في البدايات الأولى فهو أننا أخذنا النماذج والسند القانوني ـــ المرجعية النقدية ـــ من كتب غربية، أخذنا كتاب «سارا برنارد» «قصيدة النثر من

بودلير إلى الآن»، وجعلناه كتابنا المقدس نحتج إليه بحكمنا على إنتاج آخر لبيئة أخرى ولزمن آخر.

ثم بعد ذلك ما الذي حدث؟

كان من المفروض أن تطور قصيدة النثر أدواتها المعرفية مع إيماننا بها، وبعد ذلك يحدث التغيير.. أما نحن فما زلنا نعيش مرحلة التجريب التي تضم ن الشعر الحداثي قصيدة التفعيلة وقصيدة النثر وما سمي بالكتابة الأدبية ضمن هذه الأطر، كما نجد حركة التقدم والتراجع على سلم الحداثة، فشاعر ما يكتب قصيدة نثر فإذا به فجأة بعد ديوان أو أكثر يرتد إلى القصيدة الكلاسيكية فلماذا؟

هل لأنه وجدها أصلح؟

أنا لا أزعم لنفسي وأنا رجل أؤمن بالقديم كما أؤمن بالجديد وأومن بالتراث كما أؤمن بالحداثة... ولا أعتقد أن بنية القصيدة التقليدية صالحة لعصرنا.

*** هل هذا النكوص لدى بعض الشعراء يمكن أن يرد لأن الشاعر أراد أن يخلق لنفسه نوعاً من الدعاية الإعلامية أم يرد لعدم تقبل الجمهور منه قصيدة النثر فأراد إثبات وجوده في مجال أكثر شعبية هو القصيدة الكلاسيكية فعاد لها مرة أخرى.. وإن كان كذلك فهل هذه طريق شرعية؟**

** لا يمكن أن يكون هذا طريقاً شرعياً لتقدمه، هذه العملية أشبه ما تكون باللعبة على أساس الارتداد والرجوع إلى الوراء ثم التقدم إلى الأمام «موضة» التطور لا يأتي هكذا.. فهو يأتي كتطور موجود على الساحة ينتج عنه تطور فني.

فأدونيس ــ وهو أهم شعراء الحداثة ــ بدأ من قصيدة إبراهيم، وصار يعجب بعض الناس التقليديين، وذلك فقط لأنه لاعب ماهر أراد أن يجمع بين تشكيلة الشعر العمودي وتشكيلة الشعر التفعيلي وتشكيلة قصيدة النثر، إذاً، مفهوم التطور إلى الآن يتم خطأ عبر ما يقال عنه «البحث عن البدائل» أنا لا أستطيع أن أبحث عن بديل للقصيدة العمودية لأن القصيدة العمودية انتهت.

وفي رأيي حصل ذلك لأنها أخذت شكل النظم، فالعيب ليس فقط بالقصيدة التقليدية لأنه يوجد لدينا شعراء فهموا البنية التقليدية ثم فككوها وأعادوا إنتاجها في ضوء عصر جديد.. فلو كان المتنبي الآن لصنع الأعاجيب ولكن منا يقدم على الساحة الأدبية من قصيدة عمودية هو أقرب إلى النظم.

***هذا فيما يتعلق بالشعر، لننتقل قليلاً إلى الجانب النثري وأخذه بالحداثة.**

** إلى جانب القصة القصيرة يمكن أن نتحدث عن الرواية في الواقع كنمط نثري حديث التطور، كما يمكن أن نتحدث عن المسرح.

لكننا لماذا لا نهاجم الحداثة في الأجناس النثرية بالعنف الذي تهاجم فيه في ميدان الشعر؟

***هل يمكن أن نعد التباين بين ما يقدم الشعراء حداثياً وبين مستوى المجتمع سبباً في ضعف التواصل الحاصل بين الشعر الحديث وبين عامة الجمهور؟**

**التواصل أو عدم التواصل له أسبابه الكثيرة، وهذا من جملتها. لكن بحكم جهل الجمهور للأساليب الفنية الحديثة فإنه يرفضها لأنه لا يملك ثقافتها ولم يتعرفها مسبقاً.

فلقد تكونت لدى أجيالنا المتتالية ولدى بعض الشباب صورة معينة للشعر التراثي، فعندما تأتينا الحداثة نقيس هذا الحديث على القديم، فتكون النتيجة متباينة، فمن آمن بالقديم رفض الحديث، ومن آمن بالحديث رفض القديم، لأنه بالأصل فهم هذين المفهومين بشكل متناقض «القديم ضد الجديد والعكس صحيح» فالحياة ليست كذلك، الحياة استمرار واتصال.

وأضيف نقطة أخرى هي أنه يوجد أمران خاصان ببنية القصيدة المعاصرة وهما الصعوبة والغموض، وهما من تقنيات القصيدة المعاصرة وجزء من الحداثة، وهما جزءان على النقيض من المفهومية السطحية للتراث.

فالتراث الشعري كان يقدم على أن يصل إلى قلب المتلقي قبل أن يصل إلى أذنه.. مفهومه واضح وتشبيهاته منطقية واضحة، وبالتالي فالتقنيات كلها ميسرة وواضحة. فجاءت الحداثة تحت تأثير تقنيات جديدة منها غموض الإنسان وغموض الواقع وغموض كل شيء، واستفادتها من التيارات الغربية في ظاهرة الغموض.

فالثقافة المعقدة الآن والإنسان المعقد كل ذلك مصاغ في القصيدة، ولذلك فإن عدم وصول هذه القصيدة إلى الجمهور الواسع ناتج عن الغموض الموجود في تقنية القصيدة، وناتج عن شيء آخر هو أن الجمهور لا يعرف كيف يقرأ هذه القصيدة من خلال ثقافتها الخاصة. ويعرف أن القصيدة كما هي في ذهنه صور واضحة هي الصورة التقليدية، إضافة إلى كل ذلك نرى أنه ليس كل شاعر حداثي يقدم قصيدة وجدانية.

فالحداثة لها مفهوماتها، وليس كل من خط كلمة بجانب كلمة أو تحت كلمة قدم قصيدة. الشعر فن، والفن له تقنياته، كما أضيف نقطة أخرى إلى كل ذلك وهي أن لدينا بعض الشعراء يؤمنون بأن النخبة هي القائدة، وأن من حقها أن تشد الجمهور إليها وتقوده وفق رؤيتها، ولكن هذه الظاهرة قليلة ويمثلها في الشعر العربي الحديث شاعران أو ثلاثة ومنهم محمد عفيفي مطر وأدونيس، ولكن معظم الشعراء بدؤوا الآن يحسون بالحاجة إلى التواصل مع الآخرين، والتواصل هو محاولة رفع الجمهور بصورة أو بأخرى أو محاولة مد جسور مع المتلقي أو القارئ. فالصعوبة أو عدم فهم الجمهور جملة من المشكلات المعقدة تعود إلى تقنيات النص وإلى طبيعة المرسل أو الشاعر وإلى ثقافة المتلقي.

تدريبات

س1- اقرأ المقطع التالي، ثم تحدث عن أثر السياق في دلالات المفردات التي وُضع تحتها خط، واستذكر دلالات أخرى لها في سياقات أخرى: (إنّ ما أكتبه فعلٌ ينبع من أفق تصوّري ومن أفكاري ومن ضميري والتزاماته وفي مقدمتها الأمانة).

س2- أعرب الجملة التالية: الطريق إلى تحرر المرأة طريق شائك ومعقد لا بد أن تعبره المرأة عاجلاً.

س3- علّل سبب كتابة الهمزة في المقطع التالي:

(أريد أن أقول: إن تحرير المرأة، وإن ارتهن بتحرير المجتمع وتحرير الرجل، لكن يجب ألا تنتظر المرأة تحريرها حتى يتحررا؛ بل عليها أن تقود وعيها وخطاها نحو التحرر وتعمل على صنعه وصياغته؛ بدلاً من أن تنتظره يهبط عليها من السماء، من الذكر أو المجتمع. إن المرأة مسؤولة مسؤولية مباشرة عن وضعها إلى جانب مسؤولية المجتمع والرجل).

س4- هل تحتاج إلى المعجم لشرح المفردات الآتية الواردة في الحوار؟ وما الفرق بين المعنى المعجمي والمعنى التركيبي لها؟

(اجترخ- ازدهى- استشرف- القطيعة- تلامح- جذّر- النكوص- تشيؤ- انبطح- تسويق).

س5- هل تحبّذ الإجابة الشفوية أم الكتابية؛ ولماذا؟ حاول أن تجري موازنة في إجابتك عن سؤال أنت تنشئه، مستكشف مهاراتك الشفوية والكتابية.

س6- عبّر شفوياً عن مفهومك للنقد وضرورته لتطوير الشخصية.

س7- وازن بين التراث والحداثة، وعد إلى معجم مصطلحات وتعرف إلى ما قيل عنهما.

س8- عبّر في عشرة أسطر عن موقفك من عمل المرأة.

س9- ما سمات الحوار الجيد؟

س10- هل لطبيعة الأسئلة دور في تحديد الإجابة؟

س11- ما دور تعابير الوجه وحركات اليدين في الإجابة؟

س12-هل تختلف الأسئلة باختلاف مهنة من يُجرَى معه الحوار؟ وازن اختلاف الأسئلة في الحوار السابق مع حوار فني أو رياضي؟

س13-لِمَ لم يستعمل الكاتب اللهجة العامية في الإجابة؟ وما مدى ضرورتها في الحوار؟

س14- ماذا تعني الحرية عند الكاتب؟

س15- هل مفهوم الهوية ثابت أم متغير؟

س16- ما دور المثقف تجاه الضعف الذي تعاني منه الأمة؟

س17- ذكر الكاتب بعض معوقات تحرر المرأة... هل تستطيع أن تضيف معوقات أخرى؟

س18- يقول الكاتب: حرية كل إنسان تنبع من وجوده ومن مجتمعه، ومن شخصيته، ومن صيرورته... ناقش ذلك في ضوء تجربتك الحياتية مع الأمثلة.

س19- حاول أن تتذكّر أسماء بعض الأعلام العرب المعاصرين الذين اعتنوا بموضوع حرية المرأة... اذكر الفرق بين رؤاهم؟

س20- حاول أن تفرّق بين النقد التكاملي والنقد الثقافي.

س21- هل توافق الكاتب على رأيه حين قال (عمل المرأة هو الركن الركين في قضية تحررها، فلا تحرر الآن أو في المستقبل من دون عمل للمرأة تحقق فيه إلى جانب الرجل مستوى المشاركة الفعلية في التنمية وفي رتبة الإنسانية ؟).

س22- عد إلى حوارات أخرى أبدت رأيها في عمل المرأة والزواج المبكر، ثم كوّن رؤيتك أنت؟

الفصل الرابع

نشرات الأخبار
والتقارير والتعليق والتحليل

وقل رب زدني علما
جامعة دمشق
Damascus University

وقل رب زدني علما
جامعة دمشق
Damascus University

نشرات الأخبار والتقارير والتعليق والتحليل

طريقة إبلاغية للجمهور تتضمن أهم ما يحدث في العالم على المستويات المختلفة، وهي من أهم الأنواع التي تُسمع وتشاهد في وقتنا المعاصر، وتتضمن نشرات الأخبار: الخبر والمعلومة والتحليل والرأي والتقرير.

وتقسم النشرات إلى أنواع تبعاً لموضوعها: السياسية والثقافية والجوية والرياضية والاقتصادية والفنية... وتقسم كذلك وفقاً لطريقة اهتمامها بين المحلية والإقليمية والدولية، وتبعاً لطريقة صياغتها وما تتضمنه من معلومات، وعادة ما تقدم السياسية منها على رأس الساعة أو كل نصف ساعة، وتأخذ حيزاً محدداً، وثمة قنوات ومحطات خاصة بها، وثمة قنوات متنوعة لا تهتم بها، وفي الوقت نفسه لا بد من الإشارة إلى ما أصابها من تطور، وارتباطها إلى حد كبير بالصورة، وتحولها من إذاعية إلى تلفزيونية باتت أبلغ أثراً في المتلقي.

ولصياغة الخبر في النشرة الإخبارية دوره في تحديد الرؤية الكامنة خلف ما تريد أن تحمله النشرة من رسائل؛ من خلال إفادتها من التلاعب باللغة، والإشارات الأخرى؛ مما هو معلوم في أسس صياغة الخبر حيث تتطلب لغة نشرة الأخبار اختيار الكلمات البسيطة الواضحة، والمألوفة، والمختصرة.

والخبر المتميز في النشرة يتسم بكون معلوماته صحيحية وجديدة، وغالباً ما يميط اللثام عن قضية مخفية، ولابد أن يكون مؤثراً ومثيراً للاهتمام، والخبر الصحفي هو أي شيء يجعل الناس يتحدثون عن موضوع الحدث، الذي يكمن جوهره بجمع المعلومات عما يجري، وهو كل ما يهم الناس، ويؤثر في حياتهم، ولابد لكل خبر من تحرير؛ أي فن نقل الوقائع وتحويلها إلى مادة إعلامية تتسم بالحرية والمسؤولية. ويفترض أن يجيب الخبر عن أسئلة مثل: من وماذا ولماذا؟ وثمة أخبار بسيطة، وأخبار مركبة، وأخبار جامدة، وأخبار متطورة...

ويؤخذ بعين الاعتبار الفرق بين نشرة الأخبار الإذاعية والتلفزيونية، فاهتمامات التلفزيون غير اهتمامات الإذاعة نظراً لوجود الصورة، وإن كانت دقة المعلومة هي الأبرز، والتوازن بين مكوناته، وموضوعيته، ويرتبط ذلك بالحرية التي تتيحها كل محطة من المحطات، وفقاً لتاريخها، وحجم الخبر، وسرعة نقله، والصراع والإثارة، ويرصد المتابعون اختلافاً بيّناً في نشرات الأخبار من مجتمع إلى مجتمع آخر، وفقاً لظروفه وأولوياته.

وقد أخذت المواقع الإلكترونية على الإنترنت الكثير من خصوصية نشرات الأخبار، نظراً لمتابعتها الأحداث لحظة بلحظة، من أجل ذلك فإن النشرات تحاول أن تصنع خصوصيتها عبر الخبراء الذين تستضيفهم، أو التفصيل في الخبر، أو الحصول على معلومة إضافية، أو محاولة الاتسام بالحيادية...

والنشرات أياً كان الموضوع الذي تهتم به أصول وقواعد يجب أن تتسم بها، كي لا تفقد مصداقيتها، وغالباً ما تهرب الوسيلة التي تبث الخبر من تبني الخبر بنسبته إلى مصدره سواء أكان وكالة أنباء أو مراسلاً أو شاهد عيان أو ناشطاً أو حزبياً...وغالباً، ما تحاول النشرة تعضيد خبرها بالوثيقة وهي صورة أو بيان رسمي أو تصريح من مصدر الخبر...

وكل محطة أو إذاعة أو وكالة تكسب بمرور الأيام متلقين يثقون بها، ويعدونها مصدراً مهماً لمعلوماتهم.

وثمة أنواع أخرى ترتبط بالخبر والنشرة الإخبارية مثل التقرير والتحقيق، والتعليق الذي يقدم دعوة لرؤية مقنعة، ولابد أن يتمتع كاتبه بالخبرة، والتخصص، وأن يكون شخصية لها تاريخها المؤثر في الجمهور، وأن يتناول الحدث الرئيس.

وهناك عوامل رئيسية تؤثر في النشرة مثل سياسة الوسيلة الإعلامية، وطبيعة النظام السياسي والاجتماعي لكل بلد وأوضاعه المختلفة، والمحرر، والمصادر المتوفرة.

نماذج من أخبار[46] شهر أيار 2012

لماذا فشل الإسلاميون في الحصول على الأغلبية في الانتخابات الجزائرية؟

الاثنين، 7 مايو/ أيار، 2012، 11:21

أسفرت الانتخابات التشريعية التي جرت في الجزائر يوم الخميس 10 أبريل/ نيسان عن فوز جبهة التحرير الوطني، التي ينتمي إليها الرئيس الجزائري عبد العزيز بوتفليقة، بالمركز الأول بحصولها على 220 مقعداً في البرلمان الذي يضم 462 مقعداً.

وصرح الأمين العام لجبهة التحرير عبد العزيز بلخادم عقب الإعلان عن نتائج الانتخابات أن الجزائريين "صوتوا للأمان والحزب الضامن".

وفقاً للنتائج الرسمية جاء حزب التجمع الوطني الديمقراطي، الذي يتزعمه رئيس الوزراء أحمد أويحيي، في المركز الثاني بحصوله على 68 مقعداً بينما حل تحالف الجزائر الخضراء، الذي شكلته أحزاب أسلامية، في المركز الثالث بعدد 48 مقعداً.

وحصلت المرأة على 148 مقعداً وذلك للمرة الأولى في تاريخ البلاد.

---

[46] – وردت معظم هذه الأخبار في محطات عالمية وعربية ودولية، وقد اخترت الصياغة هاهنا من محطة bbc، وكذلك وردت في اللغة الإنكليزية، وهذا يسهل على الطالب ترجمتها والموازنة بين الصيغتين العربية والإنكليزية، إضافة إلى كون تلك المحطة من المحطات التي تنال اهتماماً واسعاً من الجمهور، مع أن صياغة الخبر لديها تتسم بالكثير من الأسئلة، لكننا هاهنا اخترنا أخباراً بعيدة عن السياسة بالمفهوم الخبري اليومي، لتجنب انحيازاته، وركزنا على التقارير والتعليقات المتعلقة بالتحليل والفكر..

وقدم مراقبون من الاتحاد الأوروبي يوم السبت 12 مايو/ أيار إشادة جزئية بسير عملية التصويت، فيما تبدي بعض القوى المعارضة شكوكاً في أن تلاعبا قد وقع في الانتخابات بهدف الحد من فرص الأحزاب الإسلامية.

ووصف المعارض الإسلامي عبدالله جاب الله، رئيس «جبهة العدالة والتنمية» التي حازت على سبعة مقاعد فقط، الانتخابات بأنها كانت «مسرحية كبيرة».

وتعتبر هذه النتائج مفاجئة بالنظر إلى توقعات أحزاب المعارضة التي راهنت على حدوث تغيير للخارطة السياسية مع موجة الربيع العربي.

وجرت هذه الانتخابات على خلفية إجراء إصلاحات سياسية أعلن عنها بوتفليقة قبل عام، وذلك سعياً لاحتواء التغييرات التي نتجت عن الربيع العربي في عدة دول بالمنطقة.

يذكر أن نسبة المشاركة في الانتخابات كانت 43 بالمائة وهو ما يقارب 9 ملايين ناخب من إجمالي عدد الناخبين البالغ أكثر من 21 مليوناً بينما قالت الجبهة الإسلامية للإنقاذ المحظورة والتي دعت إلى المقاطعة أنه كانت هناك استجابة واسعة لدعوتها.

- **برأيك لماذا لم يحقق الإسلاميون نتائج جيدة في الانتخابات الجزائرية؟**
- **هل يمكن للبرلمان القادم أن يحقق التغيير الذي يتطلع إليه الجزائريون دون انتفاضات أو ثورات؟**
- **كيف تقيم نسبة المشاركة العامة في الانتخابات التشريعية؟**
- **ما دلالة دخول 148 امرأة إلى البرلمان؟**

سنناقش معكم هذه المحاور وغيرها في حلقة يوم الاثنين 14 مايو/ أيار من برنامج نقطة حوار الساعة 15:06 جرينتش.

هل تؤيد إصدار قوانين تجرم تمجيد حكام سابقين؟

الخميس، 10 مايو/ أيار، 2012، GMT 11:20

تبنى المجلس الوطني الانتقالي الليبي قانوناً ينص على تجريم كل من "يمجد" معمر القذافي أو أبناءه أو نظامه.

وينص القانون على أنه "يعد من الدعايات المثيرة، الثناء على القذافي ونظام حكمه وأفكاره وأولاده وتمجيدهم"، ويحكم على من يقوم بذلك بالسجن المؤبد..

وتضمن القانون أيضاً: "يعاقب بالسجن كل من أذاع أخباراً أو إشاعات كاذبة أثناء الحرب أو قام بدعاية مثيرة من شأنها إلحاق ضرر بالاستعدادات الحربية للدفاع عن البلاد، أو بث الرعب بين الناس أو إضعاف روحهم المعنوية". وأوضح أن الظروف الحالية التي تمر بها ليبيا تعتبر في حكم الحرب.

وعلى الجانب الآخر قالت منظمة هيومان رايتس واتش أن مثل هذا القانون يتناقض مع مبدأ حرية التعبير التي ينص عليها القانون الدولي لحقوق الإنسان، وطالبت السلطات الليبية بإلغائه.

هل تؤيد إصدار مثل ذلك القانون؟ ولماذا؟

هل يمكن الحكم على نظام بأكمله استمر أكثر من أربعة عقود بأنه لم يحقق- أي ايجابيات؟

ألا يعد القانون نوعا من أنواع تقييد حرية التعبير الذي عانى منها الليبيون خلال عهد القذافي؟

هل يساعد القانون على تحقيق الاستقرار في ليبيا؟

هل تراجع اهتمام الشارع العربي بالقضية الفلسطينية في أعقاب ثورات الربيع العربي؟

ملايين الفلسطينيين باتوا لاجئين

تحل في الخامس عشر من مايو/أيار ذكرى مرور 64 عاماً على "النكبة" الفلسطينية حيث نزح حينها عشرات الآلاف من الفلسطينيين عن قراهم ومدنهم التي تقع الآن في إسرائيل وتحولوا إلى لاجئين في الدول العربية والضفة الغربية وقطاع غزة.

وفيما خاض أكثر من ألفي معتقل فلسطيني إضراباً مفتوحاً عن الطعام احتجاجاً على ظروف اعتقالهم، يبدو أن القضية الفلسطينية لم تعد تحظى بالاهتمام الذي كانت تناله سابقاً سواء على الصعيد العربي أو الدولي.

فليس هناك أي جهد دبلوماسي دولي يذكر منذ أكثر من عام لحل القضية الفلسطينية فيما ملف المصالحة بين حركتي فتح وحماس ما زال يراوح في مكانه.

والاهتمام الدولي والعربي منحصر تقريباً بقضايا شرق أوسطية أخرى مثل الأزمة السورية والملف النووي الإيراني وتداعيات "ثورات الربيع العربي" في ليبيا وتونس ومصر.

كما تشهد منطقة الشرق الأوسط بروز محاور وتحالفات ونزاعات ذات طبيعة طائفية على حساب القضية الفلسطينية التي كانت عبر عشرات السنين محل تعاطف واهتمام قطاع واسع من الشارع العربي والإسلامي.

- **هل تراجع اهتمام العالم بالقضية الفلسطينية؟**
- **وهل بات المواطن العربي أسير همومه المحلية فقط؟**
- **وما تداعيات ربيع الثورات العربية على القضية الفلسطينية؟**

- **وهل يمثل ذلك فرصة أمام الفلسطينيين لإيجاد وسائل جديدة للدفاع عن قضيتهم؟**
- **وإذا كان المجتمع الدولي ساند طموحات شعوب الدول العربية التي مر بها ربيع الثورات العربية أليس من الأولى الوقوف إلى جانب طموحات الفلسطينيين؟**
- سنناقش معكم هذه المحاور وغيرها في حلقة يوم الثلاثاء 15 مايو/ أيار من برنامج نقطة حوار الساعة 15:06 جرينتش.

Damascus University

الأطلسي يرفض دعوة هيومان رايتس ووتش
للتحقيق في القتلى المدنيين في ليبيا

الاثنين، 14 مايو/ أيار، 2012، GMT 14:37

قال حلف شمال الأطلسي (ناتو)، رداً على دعوة منظمة هيومان رايتس ووتش لحقوق الإنسان له للتحقيق في أسباب سقوط عدد من المدنيين أثناء حملته العسكرية في ليبيا، إنه "عمل كل ما في وسعه لتجنب إيقاع الأذى بالمدنيين".

وتعتقد المنظمة أن الغارات الجوية للناتو قتلت على الأقل 72 مدنياً وأن على الحلف تحمل المسؤولية حيثما كان ذلك مناسباً. وذكر فريد ابراهامز وهو المؤلف الرئيسي للتقرير الصادر عن المنظمة لبي بي سي تدعو لإجراء تحقيقات دقيقة وشاملة وذلك بمصداقية". ودعا ابراهامز إلى ضرورة الإقرار بالمسؤولية عن سقوط الضحايا وتقديم التعويضات لأسرهم. وأضاف "حتى الآن، اتخذ الناتو موقف الإنكار. إنهم يرفضون إعطاء معلومات عن كيفية هوية أولئك الناس ويرفضون التحقيق في الموضوع. نشير قلة الشفافية هذه قلقاً بالغاً".

ولكن أوانا لونجوسكو الناطقة باسم الحلف قالت إن الحملة الجوية التي قادها الحلف ضد نظام الزعيم الليبي الراحل معمر القذافي نفذت "بعناية ودقة غير متسبوقتين".

وأضافت الناطقة إن الحلف "عمل كل ما في وسعه لتقليل المخاطر بالنسبة للمدنيين".

ولكنها قالت أيضاً "في عملية عسكرية معقدة كتلك، لا يمكن خفض المخاطر إلى الصفر".

وأكدت الناطقة أن الحلف "ينظر في كل الادعاءات ذات المصداقية" حول وقوع أذى للمدنيين "ولكنه يؤكد أن كل الأهداف التي أصابها كانت أهدافاً عسكرية مشروعة".

يذكر أن طائرات أمريكية وبريطانية وفرنسية نفذت معظم الطلعات الـ 9658 التي استهدف من خلالها الحلف القوات الموالية للقذافي.

تقليل الخسائر

وفي مارس/ آذار الماضي قالت منظمة العفو الدولية أنها وثقت 55 حالة لقتلى في صفوف المدنيين من بينهم 16 طفلاً و14 امرأة قضوا في غارات جوية.

ووصفت المنظمة فشل الحلف في القيام بتحقيق دقيق في هذه الحالات بأنها "محبطة للغاية".

وقالت المنظمة في التقرير الذي نشر بعد مرور عام على بداية العمليات الجوية في ليبيا إن الغارات الجوية المدعومة من مجلس الأمن الدولي كان الهدف منها حماية المدنيين من قوات العقيد معمر القذافي، إلا أن الغارات أدت إلى قتل 55 مدنياً.

مزاعم

وقالت منظمة هيومن رايتس ووتش في تقريرها الذي نشر الاثنين إنها فحصت بالتفاصيل دلائل متعلقة بمزاعم وفيات في صفوف مدنيين جراء 8 غارات منفصلة للناتو.

وأضافت المنظمة أن في إحدى الحالات قتلت الغارة الأولى للناتو 14 شخصاً ثم شنت غارة ثانية ذهب ضحيتها 18 شخصاً كانوا سارعوا إلى المكان لتقديم الدعم للضحايا.

وقال محرر بي بي سي للشؤون الدبلوماسية إن الهدف من تدخل الناتو في ليبيا وقصف المواقع التي كان يُشتبه في أنها تابعة لقوات القذافي كان حماية المدنيين، لكن أعداد المدنيين الذين قتلوا لا تزال قضية حساسة إلى حد الآن.

وأضاف المحرر أن فريق العمل الذي أنشئ في طرابلس لم يحقق تقدما ملموسا حتى الآن.

تراجع واردات تركيا من النفط الإيراني

الاثنين، 14 مايو/ أيار، 2012، 15:40 GMT

تستورد تركيا معظم حاجتها من النفط من إيران والعراق

أظهرت معطيات من قطاع الشحن البحري في لندن أن تركيا قلصت وارداتها من النفط الإيراني الخام خلال ابريل/نيسان، مقارنة بالواردات الضخمة التي سجلت في مارس/آذار السابق له.

إلا أن أنقرة ما زالت تستورد النفط الإيراني بمعدلات أعلى من تلك التي ترغب واشنطن بتقييده تماشياً مع العقوبات على طهران.

وكانت أنقرة ذكرت نهاية مارس أنها ستقلص وارداتها من الخام الإيراني بمعدل 20 في المئة مقارنة بالكميات المستوردة العام الماضي، نزولاً عند رغبة واشنطن في زيادة الضغوط على طهران بسبب برنامجها النووي.

يشار إلى أن إيران تعد أكبر مصدّر للنفط إلى تركيا، يليها العراق، إذ تستورد أنقرة أكثر من نصف احتياجاتها من النفط من إيران، التي صدرت إلى جارتها نحو 18 مليون طن من النفط العام الماضي.

وتشكل المستوردات التركية نحو سبعة في المئة من صادرات النفط الإيرانية خلال العام الماضي، وهو ما يعادل ما تستورده ايطاليا من إيران، أو ما يعادل نصف واردات دول الاتحاد الأوروبي مجتمعة من النفط الإيراني، حسب أرقام حكومية أمريكية.

يشار إلى أن معظم مصافي النفط الأوروبية بدأت بشكل متصاعد في وقف استيراد النفط الإيراني استعداداً لتطبيق تعليق استيراد الاتحاد الأوروبي لهذا النفط ابتداء من الأول من يوليو/تموز المقبل.

وتراجعت واردات أوروبا من النفط الإيراني من 740 ألف برميل يومياً، إلى نحو 350 مليون برميل يومياً.

الصين تسمح لمصارفها بإقراض المزيد في محاولة لدعم الاقتصاد

الأحد، 13 مايو/ أيار، 2012، 09:39 GMT

حدث الصين من المبلغ الذي يجب على المصارف الاحتفاظ بها في احتياطياتها النقدية في محاولة لدعم الاقتصاد.

هذه هي المرة الثالثة التي يقوم فيها البنك المركزي الصيني بإجراء مماثل خلال ستة أشهر.

ويأتي الإجراء أثر بيانات اقتصادية صدرت أخيراً تشير إلى تباطؤ الاقتصاد الصيني.

وفي ابريل / نيسان الماضي تباطأ نمو الناتج الصناعي في الصين إلى 9.3 بالمئة، وهو أبطأ معدلاته منذ 2009.

وقال بنك الشعب الصيني إن المصارف سيمكنها من خفض احتياطياتها بنسبة نصف نقطة مئوية.

ويعني هذا القرار أنه يمكن لأكبر جهات الإقراض في الصين الاحتفاظ بنسبة 20 في المئة من أصولها في صورة احتياطيات نقدية.

وهذا سيمكن المصارف من إقراض ملايين اليوانات.

والاقتصاد الصيني يتباطأ منذ أكثر من عام. وفي الربع الأول من عام 2012 نما الاقتصاد بنسبة 8.1 بالمئة مقارنة بنمو 8.9 بالمئة في الربع الأخير من 2011.

ومن جانب آخر، وافقت الصين على إجراء محادثات لتحرير التجارة مع اليابان وكوريا الجنوبية.

وجاء الاتفاق على ذلك في قمة عقدت في بكين.

والصين أبرز شريك تجاري للبلدين.

قريباً إنترنت سريعة ورخيصة في الرحلات الجوية

الاثنين، 14 مايو/ أيار، 2012، GMT 18:12

استخدام الانترنت في الرحلات الجوية قليل، لكن هذا سيتغير....

بينما كانت الطائرة تستعد للإقلاع من مطار هيثرو الدولي في العاصمة البريطانية لندن، كان مات هانون يعجل بأداء بعض أعماله على الإنترنت، فهو يعرف أن هاتفه الذكي سيتحول بعد دقائق إلى مجرد كتلة صماء.

لن يكون بمقدوره فحص البريد الإلكتروني أو تحديث أخباره على فيسبوك أو الاستمتاع إلى مقاطع من موقع يوتيوب أو تحميل الأغاني أو البحث عبر محرك غوغل، بمعنى آخر لا وجود للانترنت.

وعلى الرغم من أن عدداً من شركات النقل الجوي تقدم حالياً خدمات الإنترنت خلال الرحلة والتي تسمى أيضاً بخدمة "واي فاي" على متن الطائرات، إلا أنه ما يزال أمام هذه الخدمة الكثير من الوقت ليتم تقديمها في كافة الخطوط الجوية لما تتطلبه من تزويد الطائرات بمعدات معينة.

والمثير، أنه حتى مع توافر تلك الخدمة على الطائرات، يكون استعمالها من الركاب نادراً.

فقلما تسمح شركات الطيران باستخدام الإنترنت مجاناً على طائراتها، وغالباً ما تبلغ أسعار الخدمة معدلات عالية على الطائرات في الجو، مقارنة بأسعارها على الأرض.

وبالنسبة للكثير من الركاب لا تضارع كفاءة تلك الخدمة مثيلتها على الأرض.

يقول هانون، مدير شركة ماشينا للأبحاث، المتخصصة في مجال استشارات الاتصالات، ومقرها بريطانيا: "بكل تأكيد ليست كالإنترنت على الأرض، تلك المتميزة بسعتها الواسعة والسرعة العالية، إنها بطيئة جداً".

ويضيف "سيصاب كل من يحاول استعمال هذه الخدمة في تصفح الإنترنت كما يفعل في بيته بالإحباط، لقد جربت هذه الخدمة في طائرة تابعة لشركة نرويجية وكانت خدمة مجانية، وكان لا بد أن تكون مجانية فما كان لأحد أن يدفع مقابل خدمة بهذه الرداءة."

وأضاف هانون إنه غالباً يستخدم الخدمة لتصفح البريد الخاص بعمله، ولكنه إذا ما كتب بريداً إلكترونياً وضغط على زر الإرسال فإن الرسالة تظل في صندوق الصادر فترة طويلة إلى أن تجد طريقها في النهاية إلى المرسل إليه."

لكن محللين يقولون إن هذه الأوضاع ستتغير بسرعة.

وقد تجد هذه الخدمة دفعة قوية من خلال الاتفاق الموقّع أخيراً بين شركة "المارسات" البريطانية العاملة في مجال الاتصالات عبر الأقمار الاصطناعية وشركة "هني ويل" الأمريكية، إحدى كبريات الشركات العالمية العاملة في مجال النقل الجوي.

وتعتزم إنمارسات إطلاق ثلاثة أقمار اصطناعية إلى مداراتها حول الأرض خلال السنوات القادمة، وسيطلق القمر الاصطناعي الأول في العام المقبل.

وتقول الشركة إن المشروع المعروف باسم "غلوبال إكسبرس"، سيوفر التغطية العالمية وسيعمل على توفير الخدمة بسرعة عالية وأسعار رخيصة وفي كل الرحلات حتى الطويل منها.

مانشستر سيتي بطلاً للدوري الانجليزي لكرة القدم لأول مرة منذ 44 عاماً

الأحد، 13 مايو/ أيار، 2012، GMT 16:54

اللقب هو الأول لمانشستر سيتي منذ 44 عاماً...

حصل فريق مانشستر سيتي الانجليزي على لقب الدوري الانجليزي الممتاز لكرة القدم لأول مرة منذ 44 عاما بفوزه على ضيفه كوينز بارك رينجرز في المباراة التي جمعت الفريقين على ملعب الاتحاد يوم الأحد .

وانتزع سيتي اللقب بفارق الأهداف عن غريمه مانشستر يونايتد الذي فاز بدوره على ستدرلاند بهدف واحد مقابل لاشئ.

وحقق مانشستر سيتي الفوز الذي أهداه اللقب في اللحظات الأخيرة من المباراة بعد أن كان متأخراً بهدفين مقابل هدف لصالح كوينز بارك رينجرز الذي كان يصارع هرباً من الهبوط .

سجل أهداف سيتي بابلو زابالينا في الدقيقة 39 وإيدن دزيكو في الدقيقة 92 وسيرخيو اغويرو في الدقيقة 59 بينما أحرز أهداف رينجرز جبريل سيسيه في الدقيقة 48 وجيمي ماكي في الدقيقة 66.

وبهذه النتيجة ارتفع رصيد مانشستر سيتي إلى 89 نقطة وهو نفس رصيد مانشستر يونايتد ولكن الأول يتفوق بفارق الأهداف.

أما كوينز بارك رينجرز فتجمد رصيده عند 37 نقطة ولكنه لم يهبط نظراً لتعادل بولتون أقرب منافسيه مع ستوك في مباراة أخرى.

بدأ مانشستر سيتي التسجيل عن طريق لاعبه زابالينا في الدقيقة 39 من تسديدة قوية داخل منطقة الجزاء اصطدمت بيد هارس المرمى ثم دخلت إلى الشباك.

وشعر لاعبو سيتي بالضغط بعد علمهم أن منافسهم مانشستر يونايتد أحرز هدفه الأول أيضاً، وبدأت الإثارة في المباراة بعد أن خطف الفرنسي سيسه هدف التعادل للضيوف مستغلاً الخطأ الدفاعي للاعبي سيتي.

وكثف مانشستر سيتي من هجماته بعد أن شعر بحرج موقفه.

وفي الدقيقة 55، طرد حكم المباراة اللاعب بارتون بعد تعديه على الأرجنتيني تيفيز بدون كرة ليستكمل كوينز بارك المباراة بعشرة لاعبين.

وبعد أن تصور الجميع أن سيتي سيستغل النقص العددي لصالحه، فاجأ جيمي مايكي لاعبي سيتي وجماهيرهم وأحرز هدفاً ثانياً لفريقه في الدقيقة 66 من تسديدة رأس قوية.

واستبسل لاعبو رينجرز في الدفاع أمام هجمات مكثفة من سيتي حتى وصلت المباراة للدقيقة 90 واحتسب حكم المباراة 5 دقائق وقت بدل ضائع.

وفي الدقيقة 92 أعاد المهاجم الألماني دزيكو آمال سيتي للفوز باللقب وأحرز هدف التعادل بضربة رأس من مسافة قريبة مستغلاً ركنية زميله سيلفا .

وبعد دقيقتين أحرز اغويرو هدف الفوز بمجهود فردي داخل منطقة الجزاء أثر تلقيه تمريرة من الإيطالي بالوتيلي وسدد الكرة في المرمى.

ومرت الدقيقة الأخيرة قبل أن يطلق حكم المباراة صافرة النهاية معلناً فوز مانشستر سيتي بالمباراة ولقب الدوري .

Damascus University

"النبي" لجبران: ألهم الملايين في الغرب وتجاهلته المؤسسة الأدبية

السبت، 12 مايو/ أيار، 2012، 10:29 GMT

يعتقد أن أعمال جبران خليل جبران من بين الأكثر مبيعاً في العالم، لكن موقف الكثير من النقاد من مؤلفاته يشوبه الفتور.

لماذا تعلق الملايين عبر الأجيال بكتابه "النبي"

منذ نشره عام 1923 يطبع الكتاب بشكل متواصل، وقد ترجم إلى أكثر من 50 لغة، واحتفظ بموقع هام على قوائم الكتب الأكثر مبيعاً في العالم.

وبالرغم من تجاهل المؤسسة الأدبية في الغرب لهذا الكتاب إلا أن بعض سطوره ألهمت كتاب الأغاني والخطب السياسية، كما ألقيت مقتطفات منه في مراسم الزواج والجنازات حول العالم.

يقول د. محمد صلاح العمري، المحاضر في قسم الأدب العربي الحديث في جامعة أكسفورد "هذا الكتاب يمكن استخدامه في أكثر من وضع ولحظة حياتية، لذلك يمكن إهداؤه إلى عشيق أو بمناسبة ولادة طفل أو موت عزيز، وهذا هو سبب انتشاره الواسع."

وكان من بين الذين تأثروا بهذا الكتاب فريق "البيتلز" الموسيقي، وجون كينيدي، وإنديرا غاندي.

ويقول الكاهن لوري سو الذي استخدم سطوراً من الكتاب في مراسم عقد القران مئات المرات في نيويورك "للكتاب أسلوب في مخاطبة الناس في مراحل مختلفة من حياتهم، وكلما قرأت أكثر منه كلما فهمت كلماته بشكل أفضل، لكنه ليس حافلاً بالنواحي العقائدية، يلائم أي شخص سواء كان مسيحياً أم مسلماً أم يهودياً."

يتكون الكتاب من 26 قصيدة نثرية، هي عبارة عن مواعظ يلقيها رجل حكيم اسمه "المصطفى"، يوشك أن يبحر عائداً إلى بلاده بعد 12 عاماً قضاها في المنفى في

جزيرة خيالية، وطلب منه سكان الجزيرة قبل رحيله أن يشركهم في حكمته حول القضايا المهمة في حياة الإنسان، كالحب والموت والعائلة والعمل.

وقد وصلت شعبية الكتاب ذروتها في ثلاثينيات القرن الماضي، وفي الستينيات أصبح "إنجيلاً" لحركات الثقافة البديلة.

يقول بروفيسور خوان كول المؤرخ المحاضر في جامعة ميتشيغان والذي ترجم مقاطع من الكتاب من العربية:"الكثيرون تحولوا عن الكنيسة واتجهوا إلى جبران."

ويرى بروفيسور كول السر في أن كتاب جبران يمد القارئ بالروحانيات دون "الدوغما"، أي لا يلزمه بعقيدة، بعكس الكاثوليكية، كما أن روحانيته ليست قائمة على الأخلاقيات، بل يحث القارئ على الابتعاد عن الأحكام المطلقة.

وبالرغم من الشعبية الهائلة للكتاب في الغرب إلا أن النقاد يعتبرونه "تبسيطياً" و"ساذجاً" و"مفرغاً من الجوهر."

ويرى بروفيسور كول أن الكتاب أسيء فهمه في الغرب.

كان جبران رساماً أيضاً، وقد تثقف في المذهب الرمزي في باريس عام 1908، واختلط بمثقفين من أمثال بيتس وكارل يونغ وأوغست رودين، وقد رسمهم جميعاً.

أنجز جبران أكثر من 700 لوحة، ولكن بسبب شحن لوحاته إلى لبنان بعد وفاته لم يلاحظها الغرب كما يجب.

ويقارن بروفيسور سهيل بشروي جبران بشعراء الرومانسية الإنجليزية من أمثال شيلي وبليك، ويقول إن مصير جبران كان مثل مصير بليك، حيث لم تعرف قيمته في عصره.

مثل أسلوب جبران في الكتابة خرقاً لتقاليد الكتابة السائدة في عصره، وكان من رواد الاتجاه الرومانسي في اللغة العربية ومن أوائل من استخدموا اللغة الشعرية في النثر.

وينظر إلى جبران في العالم العربي على أنه متمرد في الأدب والسياسة على حد سواء.

وثار في كتاباته على قمع النساء وتعسف الكنيسة ودعا إلى التحرر من الامبراطورية العثمانية.

بحلول الثلاثينيات من القرن الماضي أصبح جبران شخصية مرموقة في أوساط الجالية اللبنانية وفي الدوائر الأدبية في نيويورك.

ويعود الفضل في انتشار أعمال جبران باللغة الانجليزية إلى امرأة تدعى ماري هسكيل، وهي مديرة مدرسة من بوسطن أصبحت راعية له ومحررة لأعماله، ثم ربطت بينهما علاقة حب، إلا أنها لم تنته بالزواج بسبب معارضة عائلة هسكيل المحافظة لزواجها من مهاجر.

جامعة دمشق Damascus University

احتفالية فلسطين الخامسة للأدب تنجح في كسر الحصار على غزة

الجمعة، 11 مايو/ أيار، 2012، GMT 18:47

تعاني غزة منذ سنوات من الحصار الإسرائيلي

كان على غزة أن تنتظر خمس سنوات كي تنفض غبار الأسى والحصار وتقطف من رياحين الثقافة والفن والأدب من منابعها ولو لأيام، لقد كان لقاءً عاطفياً بالدرجة الأولى مشحوناً بالكثير من الشوق والتعطش للموسيقى والإبداع والفكر والعتاب على أن اللقاء تأخر كثيراً .

في غزة، وجدت احتفالية فلسطين للأدب في عامها الخامس بيتاً جديداً معلقاً على رام الله وبيرزيت أما الأمسية الختامية فتشهدها القاهرة على مسرح "روابط."

بدأت احتفالية فلسطين للأدب عام ألفين وثمانية وأخذت طابع المهرجان الأدبي المتنقل بهدف دعم الصلات الثقافية بين الأراضي الفلسطينية والعالم.

وبقيت غزة على مدي السنوات الخمس الماضية بعيدة المنال منسية في طيات الحصار تاركة في قلب منظميه جرحاً. ومع نسمات ربيع الثورات العربية تجدد الأمل في أن يتحقق الحلم وتذهب الاحتفالية لقطاع غزة.

لم يكن الطريق سهلاً وحتى اللحظات الأخيرة كان بصيص الأمل يراوغ بعد أن ظهرت عقبات اللحظة الأخيرة. فقد تقدمت إدارة المهرجان إلى وزارة الخارجية المصرية بطلب تصريحات سفر للمشاركين في المهرجان حسب الإجراءات الرسمية وتم إبلاغ المنظمين أن الإجراءات لن تستغرق إلا عشرة أيام غير أن الانتظار كان ملحاً حتى أنهم نظموا وقفة احتجاجية للمطالبة بالإسراع بتحقيق مطالبهم.

وفي الخامس من شهر مايو /أيار الجاري تمكنت القافلة الثقافية من الدخول إلى غزة المحاصرة عن طريق معبر رفح وهي تضم في جنباتها أكثر من ثلاثين من الأدباء والموسيقيين والفنانين من بينهم الشاعر أمين حداد وعمرو عزت وأهداف

سويف ونهوال قرويش وغادة عبد العال وهيام يارد وخالد النعيسي وفرقة اسكندريلا للفنون الشعبي والمدون المصري علاء عبد الفتاح وغيرهم.

وتقول الروائية والكاتبة المصرية أهداف سويف التي لعبت دور القاطرة في الدفع بهذه القافلة إلى غزة وإحدى المنظمين لها في حديثها لبي بي سي، إن الرحلة كانت تستأهل كل العناء الذي بذل من أجلها وإن اللقاء كان حافلاً وحميماً وأن التفاعل مع الجمهور فاق كل التوقعات. حيث أقيمت ندوات وأمسيات وورش عمل مع طلاب من الجامعات والمدارس والمراكز الثقافية في اثنين من مخيمات اللاجئين كما عقد المشاركون في الاحتفالية لقاءات مع الكتاب والمثقفين وقادة المجتمع المدني في غزة.

وبيقيا تعهد غزة الأنشطة الرئيسية هذا العام أبقى المهرجان على إيقاعه ووهجه في بقية المدن الفلسطينية حيث عقدت الكاتبتان البريطانيتان ريتشيل هولمز وبي رولات ورشة عمل للكتابة في بيرزيت بالاشتراك مع "ورشة فلسطين للكتابة" بعدها انضمت الكاتبتان إلى مايا أبو الحيات وعبد الرحيم الشيخ وعماء الصيرفي في مركز خليل السكاكيني في رام الله.

وتقول (أهداف سويف) إن القافلة الثقافية عادت بالكثير من الأفكار من غزة وأشارت إلى أنها لمست عتاباً رقيقاً من أهل غزة على المنظمات الأهلية ورموز المجتمع المدني العربي لأنها لم تمد يديها إليها من نفق وفركتها فريسة الحصار ظالم سنوات طويلة، لكنها قالت لبي بي سي إنهم على استعداد لتصويب الخطأ الآن مدفوعين بالثقة في غد عربي أفضل.

وفي هذا الإطار أطلق المهرجان هذا موقعه الالكتروني الجديد باللغتين العربية والانجليزية وتم تطويره بدعم من لجنة الفنون في بريطانيا.

ويعنى الموقع بعرض الأصوات الأدبية الجديدة في الأراضي الفلسطينية إضافة إلى توفير مساحات على شبكة الانترنت للتحليل والنقد وتبادل الآراء والخبرات بين الكتاب الشباب والمؤلفين الأكثر خبرة ورسوخاً على الساحة الأدبية.

لاشك أن هذا المهرجان الأدبي حقق الكثير مما عجز الساسة في تحقيقه من كسر الحصار على غزة والتواصل معها وبث روح جديدة في عروقها لكي تصدق بحق مقولة المفكر الفلسطيني الراحل إدوارد سعيد في ضرورة مواجهة ثقافة القوة بقوة الثقافة.

تدريبات

س1- اقرأ المقطع التالي، ثم حوّل الأرقام الواردة فيه إلى أرقام مكتوبة، (وفي مارس/ آذار الماضي قالت منظمة العفو الدولية إنها وثّقت 55 حالة، لقتلى في صفوف المدنيين من بينهم 16 طفلاً و14 امرأة قضوا في غارات جوية).

ما هي طرائق توثيق المعلومة؟ ومن يقوم بالتوثيق؟ وأين يقع مقر المنظمة؟ وما المقصود بالغارة الجوية؟ وهل يوجد غارة أرضية؟

س2- عدّد ثلاثة من كتب جبران خليل جبران ثم أعرب الجملة التالية: "وينظر إلى (جبران) في العالم العربي على أنه متمرد في الأدب والسياسة على حد سواء".

س3- من طبيعة الأخبار أنها ترتبط بالزمان، أي الأخبار السابقة يموت بمرور أيام قليلة، وأيها يستمر فترة أطول ولماذا؟

س4- هل تحبّذ الاستماع إلى الأخبار دون أن تعرف خلفياتها، أم أنك تميل إلى التعرف إلى تحليلات حولها؟

س5- طرحت الأخبار السابقة عدداً من الأسئلة للمتلقي بهدف إظهار أهمية رأيه وإشراكه بصناعة الخبر... عد إليها واسعَ للإجابة عنها؟

س6- وازن بين خبر سياسي وخبر اقتصادي مما ورد وتنبه إلى الفروق بينهما.

س7- حاول صياغة خبر عن حادث سير شاهدته، ملتزماً بأسس تحرير الخبر.

س8- ما سمات الخبر الجيّد؟

س9- بدا في الأخبار السابقة نقد لجهات غربية وشرقية حيث أثارت قضايا عدة... هل يشير ذلك إلى المهنية؟

س10- أي الأخبار يلفت انتباهك وتتابعه بشغف؟ لماذا؟

س11- إذا كانت الأمية في المفهوم التقليدي تعني عدم معرفة القراءة والكتابة... فهل يمكن اعتبارها اليوم تعني عدم المعرفة بالحاسوب والإنترنت؟ وهل سيتغير مفهومها في المستقبل؟

س12- شكلت إحدى المواد الأخبارية السابقة محوراً لبرنامج نقطة حوار، وقد عمد من أعد إعلان البرنامج إلى الإفادة من السؤال، إلى أي حد يبدو السؤال جاذباً للمستمع؟

س13- لم يرفض حلف الأطلسي إجراء تحقيقات في مقتل مدنيين نتيجة تدخله في ليبيا؟ من وجهة حقوقية وإنسانية هل يجوز ذلك؟

س14- فيما سبق من مواد أخبارية خبر عن فوز مانشيستر سيتي ببطولة الدوري الإنكليزي؟ هل تتابع ذلك الدوري؟ ومن هو لاعبك المفضل؟ ولماذا اخترته؟

س15- يرد سؤال فيما سبق: هل بات المواطن العربي أسير همومه المحلية فقط؟ على المستوى الشخصي: هل يمكن أن نقول نعم؟ وأن تتشابك ظروف الحياة أحد الأسباب؟

س16- ثمة خبر عن الانتخابات التشريعية في الجزائر... هل تعتقد أن المجالس البرلمانية تقوم بدورها في منطقتنا؟ اذكر شواهد على ما تذهب إليه.

جامعة دمشق Damascus University